

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الحادي والخمسين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩١٧ - الموافق ١٢ رمضان سنة ١٣٣٥

سياحة ذرّة ماء

(خلاصة ما في الجزء السابق - شرحت ذرّة من ذرات الماء كيف تولّدت في عنق بركان من براكين الارض القديمة منذ نحو مئة مليون سنة وما مرّ عليها من العبر وهي في الهواء والسحاب والبحر وانهار الجليد وجباله غير خارجة في ذلك كله عن الحقائق العلمية)
في اعماق البحر

قلت في الفصل السابق ان امواج البحر عبثت بجبل الجليد الذي كنت واحدة من اجزائه فذبنا وعدنا ماء سائلاً وانتشرنا في الاوقيانوس وكأف بردنا شديداً ولذلك كانت كشافتنا اشد من كثافة ماء البحر على برده فغصنا فيه مخدرات الى قاعه واشتدّ الضغط علينا بما تراكم فوقنا من الماء حتى صار اشد من الضغط الذي احتملته وانا في جبل الجليد . و يظهر لي انني بلغت ما عمقه ستة آلاف متر او سبعة آلاف . فعبزت اشعة الشمس عن خرق طبقات الماء والوصول الى ذلك المكان لكنني رأيت في طريقي اليه كثيراً من الحيوانات الفصفورية فكانت تنير جوف البحر بعض الانارة واما عند ستة آلاف متر فلا نور من الشمس ولا من حيوانات فصفورية ولا ما ينعش النفوس بل ظلام دامس وسكوت أشبه بالموت . ماء كثيف وضغط شديد وبرد قارس وعمل لا نؤجر عليه ولا نشكر لاننا كنّا مضطرات ان نحفظ بدقائق كثيرة من المواد الذائبة في البحر او المنتشرة فيه

غير ان الماء الذي كنت جزءاً منه لم يستقر في مكانه بل سار سيراً بطيئاً نحو خط الاستواء فبلغه بعد قرون كثيرة وهناك شعرت بشيء من الدفء فان حرارة الشمس كانت

تسخن الماء الذي على وجه البحر وتحوله بخاراً فيخطفه الهواء ويصعد به فيأتي الماء الذي تحته ويحل محله وهلم جرا فجعلت اصعد رويداً رويداً صعوداً بطيئاً جداً حتى انني لم ابلغ سطح البحر الا بعد نحو مليون سنة

في البحار الاستوائية

هنا انتعش فوادي فاني قابلت نور الشمس البهيج ورأيت الوف الحيوانات تسبح وتمرح ولا برد ولا ضغط ولا ما يضيق به الصدر . ولكن ما من نعيم يدوم طويلاً فبينما انا حذلة ناعمة البال اخنطفني نبات بحري وادخلني في بنائه فاضطرت ان اقيم فيه واجري معه كيفما نقاذفته الامواج ولعلي بقيت فيه اكثر من مئة سنة . ثم اكله حيوان هلامي فدخلت جوفه وجريت في عروقه الى ان صرت جزءاً من بدنه المائي . واثارت العواصف ذات يوم وعلت الامواج فقذفت بذلك الحيوان على صخور الساحل فاختنق ومات وبلي جسمه ففجرت منه وعدت الى البحر فابتلعني حيوان آخر وآخر وهلم جرا . وكنت ابقى في جسم كل حيوان الى ان يموت او يأكله آخر . وقد قضيت على كل تلك الحيوانات واما انا فبقيت كما كنت ولم امت وكنت اذا خرجت من جسم الحيوان الى البحر لا ابقى بلا عمل بل أكلف انا وغيري من ذرات الماء حفظ بعض الغازات والجوامد الذائبة في فيه . وكثيراً ما كان السمك ذو الخياشيم يمتصنا ليسلب الاكسجين منا ويعيضنا اكسيد الكربون الثاني يعيضنا من الصالح طالحاً وكان من نصيبي انني دخلت في كل تيارات الاوقيانوس واشتركت في المد والجزر ملايين كثيرة من السنين وامتزجت بالرشاش الذي كان يطير من الامواج حال تنفسها على شطوط المرجان . ودام الحال على هذا المتوال الى كنت ذات يوم اتشمس على سطح البحر فقبض عليّ الهواء الحار وصعد بي الى اعالي الجو

في نهر تحت الارض

رسخ في بالي حينئذ ان لا بد لي من العود الى الارض او الى البحر فكان كما توقعت . واتفق ذات يوم ان تولدت الكهر بائية الى جانبي فاجبرت على حمل بعضها وكان منها برق يخطف الابصار ورعد يصم الآذان فوقعت على الارض مع نقط المطر في بلاد صحيفة وسرت مع غيري الى جدول فغدير فنهر صغير جرى بنا مسافة طويلة في واد عميق ثم دخل بغتة في غار عميق محفور في الصخور الكلسية ينتهي ببحيرة واسعة في قلب الارض حيث الظلام دامس . فبقيت هناك سنين عديدة لا ارى شيئاً ولكن لم يكن عليّ ضغط كما كان في جبل الجليد وقاع البحر ولا كان هناك امواج وتيارات لان الرياح لا تعصف في ذلك

الكهف لكن الظلام الدامس والسكون المستمر يضيقان الصدور ولم يكن لي من عمل سوى حمل شيء من مذوب كربونات الكلس

وكل مجاري المياه في قلب الارض وكل ما فيها من الكهوف انما حفرتها اخواتي ذرات الماء في العصور الغابرة لكنها لم تكتفِ بنحتها واذابة صخورها بل عملت عملاً آخر لثبث انما تستطيع البناء كما تستطيع الهدم فانها بنت فيها اعمدة معلقة بسقفها من مادة كلسية تكاد تكون شفافة كالزجاج بعضها ابيض وبعضها اصفر او وردي . وحيث يكون قاع الكهف مرتفعاً لا يغطيه ماء البحيرة تجد تحت هذا العمود المتدلي من السقف عموداً آخر نائماً من الارض يلاقيه كأنهما عاشقان تلاقيا وتعانقا

ثم كثرت مياه النهر في تلك البحيرة وجرى بي منها ينبوعاً صافي الزلال

في نبات من نباتات الفحم الحجري

سرت مع ماء ذلك ينبوع الينبوع المنبثق من جوف الارض الى ان بلغت بحيرة كبيرة ثم قبض علي الهواء بواسطة حرارة الشمس فصعدت الى اعالي الجو وعدت الى الارض في نقطة مطر فغرت فيها وانا لا ادري الى اين مصيري هذه النوبة الى ان دنوت من جذور شجرة كبيرة فقبض علي جذير منها وامتصني فدخلت جوفه وسرت مع عصارتها في الانابيب المارة بين الياض الخشبية الى ان بلغت جذراً كبيراً ومنه الى ساق الشجرة فغصن من اغصانها ففرع من فروع ذلك الغصن واخيراً وصلت الى ورقة من اوراقه وكنت مضطرة مع غيري من ذرات الماء الى حل بعض المواد التي تغتذي بها تلك الشجرة من مركبات النتروجين والفسفور والكبريت والبوتاسيوم وما اشبه اي اننا كنا من حمالات الطعام ولم يكن سبيلنا سهلاً ومسيرنا خالياً من العوائق بل كنا مضطرات ان نجاهد في فتح طريقنا بايدينا

ولما بلغنا الورقة جعلنا نساعد الشجرة على اعداد طعامها وهضمه وقد كانت تلك الشجرة من اغرب الاشجار التي نبتت في العصر الكربوني ثم اندثرت وتكون منها فحم حجري . وفي الواقع كنت من ذرات الماء التي ساعدت في تكوين الفحم الحجري في منجم بيلاد الصين فان الورقة التي كنت فيها تمكنت بواسطة مادتها الخضراء من استمداد القوة من الشمس واكسيد الكربون الثاني من الهواء واخذت الكربون منه فابقت عليه مع ذرات الماء وردت الاكسجين الى الهواء . فان بناء الشجر مؤلف من ذرات الماء وكربون الهواء . ثم اخبرت ان تلك الشجرة التي كنت في احدى اوراقها شاخت وسقطت في المستنقع الذي كانت نامية

فيه وامتزجت بسائر مواد النباتية ثم علت فوقها الاتربة وتكوّن منها الفحم الحجري واما انا فنجوت تلك النوبة ونجوت في نوبات أخرى بعدها الى ان كنت يوماً عند سطح ورقة من اوراق شجرة فلما اشرقت عليها اشعة الشمس سعد بعض ما فيها بخاراً وكنت انا منه

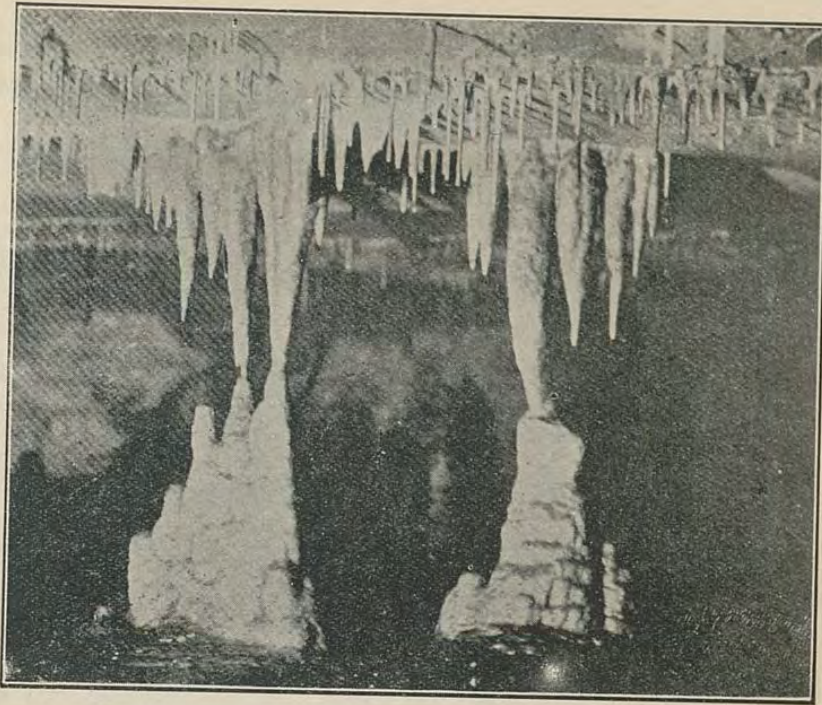
كدت ابلغ السيارات

لما صعدت الى الهواء هذه النوبة ارتفع بي الى علو شاهق جداً فانشرح صدري وطابت نفسي حتى زال من بالي العود الى الارض مع المطر او الثلج لانني بعدت عنها بعداً شاسعاً فتلطّف الهواء حولي وصارت دقائقه من النروجين والاكتجين والهيدروجين وذرات البخار التي فيه تتباعد بعضها عن بعض . ثم صدمنا جسم من الاجسام فاندفعت جواهر الهيدروجين في خط شلجيمي وخرجت من فلك الارض . وقد رأيت نفسي حينئذٍ معرضة للاندفاع مثلها فحرت بين ان يكون من سعدي او من نحسي ان اخرج من فلك الارض . ولو حدث ذلك لدخلت بين افلاك السيارات وصرت ادور حول الشمس كواحدة من سياراتها على ما بي من الصغر كاني ابنة الارض وابنة اخت المشتري . وقد ترك الارض في تلك النوبة الوف من جواهر الهيدروجين والهاليوم واقامت في الفضاء حول الشمس او اجنذبها السيارات والنجمات ولكن قلما يحتمل ان يكون بعضها قد خرج من النظام الشمسي بتاتاً لان جذب الشمس يصل الى ابعد من ابعد السيارات فيمنعها من الافلات . ومن المظنون ان ماء الارض والجلد لا يحويان الآن كل الماء الذي نفتته الارض من جوفها بل ان بعضه اندفع عنها وافلت من جوها ولا سيما في العصور الخوالي حينما كانت الارض اصغر ممّا هي الآن واضعف جاذبية ولكن جاءها من ذرات الماء التي كانت تائهة في الفضاء مدفوعة من الشمس والقمر والسيارات اكثر ممّا فقدت

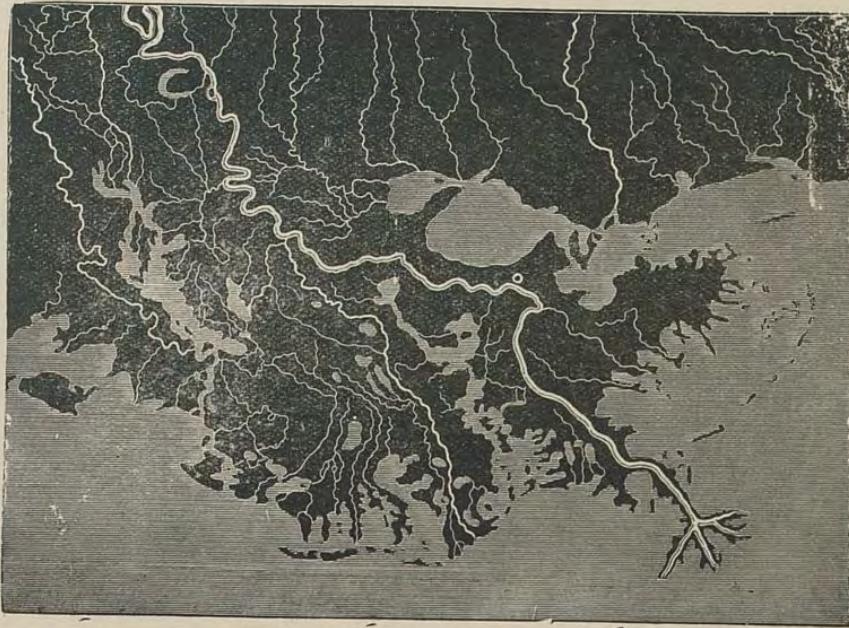
ولو خرجت من فلك الارض لأتعمت بالنشوز فشددت عزيقي وتشبّثت بالهواء وسرت في خط اهليجي بدل الشلجيمي فعدت الى جو الارض بعد ان ابعدت عنه بعداً شاسعاً ولولا ذلك لكنت الآن في الفضاء بين السيارات والنجمات ذرة صغيرة لا شأن لها على الاطلاق ولا نفع ينتظر منها . نعم اني كنت اجذب الشمس كما تجذبني لان التجاذب متبادل حسب نواميس الطبيعة ولكن من انا وما هو جذبي . غير انه لا ينتظر ان اقيم في الارض ابد الدهر ولا بد لي من ان يحملني الضجر على تركها يوماً ما

في البلدان الجنوبية

ثم حملتني مجاري الرياح وساقني الى الاقاليم الجنوبية . ولا يسعني الوقت لاقص كل



اعمدة في كهف كونتها ذرات الماء كما ترى في الصفحة ٣



ذلنا نهر المسيسي باميركا التي كوّنتها ذرات الماء بما فتته من الصخور وجرفته من التراب
الى البحر
مقتطف يوليو ١٩١٧
في الصفحة ٥ و ٦

ما مرّ بي من العبر وأنا في تلك الاقاليم لاسيما وانها تماثل ما اصابني وأنا في غيرها وكان العصر بدءاً الدور المسمى عند الجيولوجيين بالميسوزويك اي الدور الذي ظهرت فيه الزحافات الكبيرة. وقد شاهدت بعضها كما شاهدت بعض النباتات الغريبة التي نمت في ذلك العصر وكان لي يد في انشاء الانهر والبحيرات والسحب والزوايح والهالات واقواس قزح ولكن كانت الطوارئ التي طرأت على الارضين تتغير بتغير الادوار والعصور الجيولوجية وكان تغيرها سريعاً جداً فرأيت في ذلك ما يسليني

بقيت زمناً طويلاً في الاوقيانوس الباسيفيكي الجنوبي مختلطة بمباهمه ولم يكن حينئذ في السعة التي هو فيها الآن لان القارات الجنوبية كانت اوسع مما صارت اليه وكانت متصلة بعضها ببعض. ودخلت جسم حيوان كبير من الزحافات التي تسبح في البحر طوله نحو عشرة امتار وله زعانف كبيرة كالحماض وشدة واسع كالهوية واسنان كبيرة مخروطية يطلق عليه اسم الاثيوساوروس ولكنني لا اظن انه كان يعرف اسمه او يعرف التلغظه وجسم حيوان آخر اسمه بلزيوساوروس وهو قصير القامة طويل العنق جداً كان رأسه وعنقه جسم افقي ولقيت حيواناً كبيراً كالضفدع يعيش في البر والبحر طوله نحو ثلاثة امتار وجسمه مغطى بترس صفيق كالسحفاة واسنانه قوية جداً

ووصلت في سياحتي الى جهات القطب الجنوبي فانجسبت بين ثلوجه ومرّ علي في ذلك الحبس مئتا الف سنة. ثم طرت في الهواء وعثت بي العواصف واوصلتني الى جبال الاندس في غربي اميركا فوقعت مع المطر وامتزجت بمياه الامازون فطرحني في الاوقيانوس عند خط الاستواء وبقيت هناك دهرًا طويلاً في منطقة قليلة الحركة تارة في الماء وطوراً في الهواء

فعلنا بالقارات

نحن ذرات الماء اكثر عملنا منوط بتغير وجه الارض. فانه يشق علينا ان نرى الجبال شامخة بانوفها تناطح السحاب فنهاجمها ونختارها رويداً رويداً ونطرح نخائنها في السهول ونجرها الى البحار ونبسطها في قاعها. وكل ما في البر ينتقل الى البحر ونحن النقلة المكلفات نقلة. وكان في امكاننا ان لا نبقي جبلاً ولا قارة ولا جزيرة الا ونفتتها كلها ونطرحها في قاع البحر فلا يبقى ظاهراً على وجه هذه الكرة الا الماء والهواء لولا قوتان في الارض تعارضتا وهما الحرارة والجاذبية فانهما تعمقان قاع البحر في بعض الاماكن وترفعانه في اماكن اخرى حتى تصير منه جزائر وقارات وجبال فنضطر ان نكرر عملنا الاول مرة بعد اخرى. ولقد تمكنا

غير مرة من جلب كل اليابسة ووضعها تحت اقدامنا في قاع البحر ولكن الحرارة رفعتها ثانية بقوتها التي تفوق الوصف فالتزمنا ان نستأنف عملنا من جديد ولكننا قد ربينا على الصبر والمواظبة فلا تترك العمل معها حال دوننا من الحوائل . لقد ترانا اذا وقفت على شاطئ البحر نهجم على صخوره فنترد عنها ثم نعاود الكرة مرة بعد اخرى و يوماً بعد اخر بلا ملل ولا ضجر الى ان نختبها كلها ونذيبها . هذا كان شأننا منذ صار للكرة الارضية مجراي منذ كانت اكبر من القمر قليلاً وسنواظب على هذا العمل ما دمنا نرى ارضاً تقاومنا

ولنا في تفتيت الصخور وجرف الانزبة اساليب مختلفة واعمالنا موزعة بيننا ولكن ما من ذرة منا تقتصر على عمل واحد بل كل ذرة تعمل كل عمل اتفق وصولها اليه فاحياناً نذيب الصخور كما نفعل بالملح والجبس والصخور الكلسية لاننا نجح كوناها فنجح نذيبها . واحياناً نكتفي باذابة ما بين دقائقها من المواد التي تلحمها بعضها ببعض فنفتت ونقع فنجرفها ونجري بها الى الاودية والغدران والانهر والبحيرات والبحار . ونحن الأولى حفرنا الاودية في جوانب الجبال واذا وجدنا عائقاً في طريقنا انحدروا من فوقه شلالات وجنادل الى ان نذيبه . وكمن بحيرة القينا فيها الطمي والابليز الى ان طمت وصارت ارضاً يابسة

واذا برد الهواء وقرّ حتى نعذر علينا البقاء في حالتنا السائلة جمدنا وصرنا ثلجاً او جمداً ولكننا لا ننقطع عن العمل حينئذ بل تزيد نشاطاً فان اهم اعمالنا في الجبال العالية وقت اشتداد البرد فندخل بين دقائقها ونمزقها ونفتتها ولا شيء يقف في طريقنا او ننجز عنه ولو عاقنا قليلاً . والجبال الشاهقة التي ترى الآن انما هي على هذا العظم وهذا العلو لانها ظهرت حديثاً وسوف نفتتها كلها ونجرفها الى قاع البحر كما فعلنا بالجبال التي كانت قبلها

ومني قبضنا على فئات الصخور الناعم ببسطه طبقات منضدة بعضها فوق بعض وترك فيها آثارنا وآثار النبات والحيوان اللذين عاصروا كأنها صفحات كتاب مكتوب بل هي تاريخ العصور الجيولوجية الغابرة

هذا ما فعلناه في الماضي وما منفعله في المستقبل . وسنستمر على عملنا بعد ما ينقرض نوع الانسان عن الارض كما كنا نفعل قبلما وجد عليها

لماذا هذا العمل وهذا العناء . هل نعمل حباً للعمل كلاً ولكن الحركة من طبيعتنا كما هي من طبع مثل سائر المخلوقات وانتم يا بني ادم لا تثنافسون وتتراحمون وتصارعون وتثقلون الا لان الحركة في طبيعتكم والطبع غلاب ستأتي البقية

اين الحبوب

نحن الآن في بداية موسم الحبوب في بلاد زراعية اثبتت في العام الماضي انها تستطيع ان تمون نفسها . وموسم هذه السنة من الحبوب ليس اقل من موسم العام الماضي بل أكثر منه ومع ذلك ترى ثمن اردب القمح أكثر من ٣٠٠ غرش و اردب الفول ٢٧٠ غرشاً حتى لقد اضطرّ كثير من اصحاب المزارع الواسعة ان يبيعوا بعض ما عندهم من الثيران للذبح لانهم لم يستطيعوا ان يشتروا الفول الكافي لعلفها . فاين ذهبت الحبوب ولماذا هذا الغلاء الفاحش

قد يظن لاول وهلة ان هذه الحال خاصة بالقطر المصري وان الحبوب في غيره كثيرة رخيصة وانما يتمذّر جلبها اليه الآن لغلاء اجرة النقل ولكن ظهر من الاحصاء العام الذي نشره ديوان الاحصاء الدولي في شهر مارس الماضي ان في مواسم الحبوب نقصاً كبيراً في كل البلدان يبلغ نحو ٢٨ في المئة اذا قوبلت بموسم سنة ١٩١٥ و ١٧ في المئة اذا قوبلت بمتوسط السنوات الخمس من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩١٥ وقد نقصت الذرة ايضاً وسائر الحبوب التي يصنع الخبز منها

وزد على ذلك انه كان بقي جانب كبير من الحبوب من سنة الى أخرى واما الآن فالباقى من العام الماضي قليل جداً واذا اضفناه الى موسم سنة ١٩١٦ قصر المجموع عن القيام بالمقطوعة العادية نحو ثلاثة في المئة

لما انتصب السر وليم كروكس الكيمائي المشهورة بتلو خطبة الرئاسة في مجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٨٩٨ قدر ان الاراضي التي تصلح لزراعة القمح اذا زرعت كلها قمحاً وكان متوسط غلة الفدان منها اردبين ونصف اردب لم تبلغ الزيادة أكثر من ٢٥٠ ٢٥٠ اردب لانها لا تزيد على مئة مليون فدان وهي تكفي فقط لزيادة السكان في البلدان التي يأكل شعبها القمح حتى سنة ١٩٣١ لا غير . اي اذا جاوزنا سنة ١٩٣١ صارت غلة القمح في الدنيا غير كافية لما يزيد في عدد السكان

وقد مضى الآن نصف هذه المدة وكانت غلة القمح في السنين الماضية تزيد على أكثر من النسبة التي قدرها لها السر وليم كروكس في المساحة المزروعة وفي متوسط غلة الفدان . فقد قدر الدكتور أنستد ان مساحة الاطيان التي كانت مزروعة قمحاً بين سنة ١٨٨١

وسنة ١٨٩٠ كان متوسطها السنوي ١٩٢٠٠٠٠٠٠ فداناً وبين سنة ١٨٩١ و ١٩٠٠ كان متوسطها السنوي ٢٤٢٠٠٠٠٠٠ فدان وانها ستبلغ ٣٠٠٠٠٠٠٠ فدان وان متوسط محصول الفدان سيببلغ نحو ثلاثة ارادب ونصف ارادب فيبلغ محصولها كلها ١٠٠٠٠٠٠٠ (الف مليون ارادب) وقد قدر السروليم كروكس ما يأكل كل النفس في السنة باقل من ارادب وقدّره الدكتور أنستد باكثر من ارادب فاذا فرضنا انه ارادب فقط فكل الاراضي التي يمكن ان تغل القمح تكفي غلتها الف مليون من النفوس فاذا صحّ هذا التقدير فلا يحتمل ان يعجز محصول القمح عن اشباع آكله قبل اواخر هذا القرن ولكن ان كان الامر كذلك فلماذا هذا الغلاء الفاحش الآن . والجواب ان له سببين كبيرين الاول محل المواسم في اكثر البلدان التي امكن احصاء موسمها وهذا يخرج رومانيا وتركيا وبلاد روسيا في اسيا وكلها من البلدان التي تصدر الحبوب لانها تزيد فيها على حاجة سكانها . والثاني تعذر نقل الحبوب والدقيق من روسيا وكانت روسيا تصدر في السنة من الدقيق ما ثمنه سبعون مليون جنيه وهي تعادل سبعين مليون ارادب على اقل تقدير وتكفي سبعين مليوناً من النفوس فلو امكن نقل الدقيق من روسيا الآن لقام دقيقها مقام اكثر النقص في موسم الحبوب . فاذا انتهت الحرب وعقد الصلح هذه السنة وعادت طرق التجارة الى ما كانت عليه فالمرجح انفراج الازمة الحاضرة وهبوط اسعار الحبوب ولو بعض الشيء ولكن اذا استمرت الحرب الى الشتاء المقبل فلا بد من اشتداد الضيق لان التجار احنكروا الحبوب بل لان الحبوب غير كافية للمقطوعة

ولكن هب ان محصول القمح في الدنيا كلها جاء اقل من المتوسط ٢٥ في المئة او ٢٨ في المئة وهب ان الحرب استمرت وطرق التجارة بقيت مقفلة فهذا كله لا يستلزم ان تغلو الحبوب في القطر المصري هذا الغلاء الفاحش اذا شاءت الحكومة ان تقطع سعراً محدوداً للحبوب وتجبر اصحابها على البيع به . ولكن هل من حسن السياسة ان تفعل ذلك اليس الافضل ان يقلل الناس من اكل الخبز ما امكن وياكلوا بدلاً منه من مواد الطعام الرخيصة التي تقوم مقامه حتى يزيد الموجود من الحبوب على المقطوعة وحينئذ ترخص من نفسها . وهذا يفعله الناس من انفسهم عادة

استعمار السور بين العهدين

(تابع ما قبله)

قلنا في الجزء السابق انه كان للسور بين تأثير سياسي وفلسفي وعلمي وادبي وفني وديني في الشعب الروماني واثباتاً لذلك نقول :

السياسة — لا ثبات تأثيرهم السياسي يكفي ان تقابل مثلاً بين حكومة اغسطس اللامركزية التي تركت الولايات التابعة لرومية تحكم نفسها بنفسها وبين حكومة ذوقليطيانوس المركزية المطلقة والتي نشأت بعد ان احثك العقل الروماني بالعقل الشرقي وبالاخص السوري في سوريا وخارجها

من النساء السوريات اللواتي كان لهن شأن كبير في سياسة رومية جوليا دُمنا ابنة كاهن إله حمص إيلجبل (الجبل) وزوجة الامبراطور سبتيميوس سيفريوس والدة كراكلا وجيتا . تزوج بها سبتيميوس وهي اصغر منه بعشرين سنة لما كان قائداً للفرقة السورية وذلك عملاً بقول عرافة سورية ان شخصاً سيتزوج إحدى بنات كاهن حمص ويصير ملكاً . وكانت جوليا هذه متضلعة من العلوم الطبيعية والفلكية وذات خلق جاذب فتان . فاجتمع في العاصمة دائرة من اشراف الرومان واعيان السور بين كانت هي محورها . ثم ان كاهناً حمصياً اسمه إيلجبل Elagabalus فاز سنة ٢١٨ ب . م بالانتخاب للعرش الامبراطوري فنقل حاشيته معه من حمص ونصب صورته بالخلة الكهنوتية وتمثال معبوده فوق هامة تمثال « النصر » الروماني مما استوجب غيظ مجلس الشيوخ وادى الى انتقامهم . ولا شك ان المؤرخين الرومان المدفوعين بعامل الوطنية والنعرة الجنسية سوّدوا صحيفة هذا الامبراطور السوري وبالغوا في سيئاته . والحال ان السلام كان مدة ولايته مستتباً من الداخل والخارج لاسيما وان المستعمرات السورية كانت تشدّ أزره . وانك لتجد في كتاب للعالم بوشير^(١) ظهر حديثاً باللغة الانكليزية عن ولاية سوريا الرومانية فصلاً مطوّلاً عنوانه « العائلات السورية الحاكمة في رومية » جاء فيه على سبيل عدد من الامبراطرة السوريين الذين تستموا عرش القياصرة

وكان لسوريا في العالم اللاتيني شأن سياسي آخر بواسطة متشرعيها . فالوزير المستشار للاسكندر ابن عم إيلجبل وخلفه كان سورياً اسمه أليان Ulpian وهو احد

(١) E. S. Bouchier, "Syria as a Roman Province" Oxford, 1916

اساتذة الشريعة الرومانية في كلية بيروت الشهيرة وقد شغل مناصب خطيرة في ايام سفيرس وكراكلا . وكان باينيان مستشاراً للامبراطور نيرون ونسيباً لجوليا دُمنافكان اذن في الراجح حمصياً . ولما اخذ المتشرعون بنشر مجموعة الشرائع الشهيرة المنسوبة الى يوستينيانوس عمدوا الى تأليف هذين الثقتين السور بين وضمنوها فيها فيصح ان يقال انهما من مؤلفيها وعليه فبعض ما يُحسب اعظم تحفة اهداها الرومان الى المدنية البشرية انما كان من نتاج العقل السوري

الفلسفة — لقد كان للفلاسفة السور بين النازحين في العالم الاوربي العقلي شأن كبير فالفلسفة الافلاطونية الجديدة هي اهم ما انتجته العقل اليوناني الروماني بين زمن ارسطوطاليس والزمن الذي عمت فيه المسيحية اوربا . وبما يستحق الذكر ان واضعي اساس هذه الفلسفة واهم دعائها لم يكونوا رومانين ولا يونانيين بل سور يون منهم پورفيروس الشهير وتلميذه إيمبلِكس Iamblichus الذي وُلد في كَلْسِس^(١) Chalcis

وُلد پورفيروس في مدينة صور عام ٣٣٣ ب . م وتخرج في كليات اثينا ورومية وكان اسمه الاصلي الشامي مَلَكُس (مشتق من ملك) فاتخذ لنفسه هذا الاسم اليوناني (ومعناه الارجواني) مما يدل ان غيره من السور بين ذوي الاسماء اليونانية واللاتينية ربما كانوا من اصل عربي او فينيقي او سرياني آرامي . وهذا يذكرنا باسماء « سمعان بطرس » و « يوحنا مرقس » و « شاول بولس » وغيرهم . حتى ولو كان بعض هؤلاء المشاهير من اصل يوناني فانهم وُلدوا وتربوا في سوريا وُلد فيها اباؤهم وربما اجدادهم من قبلهم و من منهم رجع الى سوريا فابناؤهُ لم يزلوا فيها حتى الآن . ولقد اطلق عليهم الجنسية السورية المؤرخون المعاصرون من يونان ورومان كما ورد معنا آنفاً عند ذكر الروائي الممثل پبليوس سيروس اي پبليوس السوري كذلك اطلقها العلماء الاوربيون الحديثون ومنهم الكاتب الانكليزي بوشير والاستاذ البلجيكي كومن^(٢) في كتابيه « عبادة ميثرا السرية » و « الديانات الشرقية في الوثنية الرومانية »

العلم والادب — لم يقتصر تأثير هؤلاء على السياسة والفلسفة بل تناول العلم والادب ايضاً . فالفيلسوف الشاعر فيلوديمس Philodemus كان في طليعة السور بين الذين نزحوا الى ايطاليا حيث احكم عري الصداقة مع بيزو عدو شيشرون فهجاه شيشرون

(١) اشار اليها يوسيفوس بهذا الاسم ايضاً وهي اليوم خرابات عجر Anjar

(٢) Franz Cumont, "Les mystères de Mithra," "Les religions orientales dans le paganisme romain."

هجاء مر^١ . ونشأ في جدرة ثيودورس المنطقي الذي كان احد اساتذة رودس وهو استاذ الشاب الذي صار فيما بعد طيبايوس قيصر^(١) . وقد قال الكاتب النقادة الشهير لوشان انه كان سورياً سريانياً لا يونانياً لغته الآرامية مسقط رأسه سموسطه^(٢) ولد فيها عام ١٢٥ ب.م . كان لوشان على المذهب الاپيكوري ودرس اليونانية في ابونيا (الشاطي الغربي من اسيا الصغرى) ورجع الى انطاكية لممارسة الشريعة ولكنه عاد فاختر حرفة خطيب متجول فزار مكدوننية واطاليا وغاليسيا ثم استقر في اثينا حيث كتب معظم ما كتب . واهم تأليفه «الإلهة السورية» «De Dea Syria» اقترح فيه وجوب عرض كل الآلهة للبيع بالزاد العالمي . واخيراً اقامه الامبراطور كومدس والياً على مصر حيث قضى نجبته . وكان معاصره مكسيموس السوري ايضاً خطيباً متجولاً ينتقل في آسيا واوربا الى ان اقام في رومية ولم يزل لدينا من خطبه احدى واربعون خطبة واعظم المنطقةيين^(٣) السور بين تأليفاً لبانيوس Libanius الذي وُلد في انطاكية عام ٣١٤ ب.م وبعد ان اكمل دروسه في اثينا انشأ مدرسة في القسطنطينية عاصمة الروم الجديدة حيث صادق الامبراطرة وخالف اكابر المأمورين واخصهم الامبراطور يوليانيوس الذي عاشه عشره اشهرآ في انطاكية وكانت انطاكية يومئذ رومية الشرق وثالثة مدن العالم المعروف من حيث كثرة السكان . ولما قبل تليذه الذي عُرِف بعدئذ باسم يوحنا فم الذهب التعليم المسيحي اظهر لبانيوس استياءً شديداً . وكان في جملة ما كتبه مقامات جدلية صدرت بها خطب ديموستينيس الخطيب

وعن اشتهر في عهد الدولة الانطونية فيلسوف المنطقي السوري ادر يانوس احد اساتذة اثينا ورومية

الفنون الجميلة - اثبت العالم النقابة ده ثوغه Devogüe بفضل اكتشافاته الحديثة في حوران ان سور يا كان لها بين القرن الاول والقرن السابع بعد المسيح اسلوب في البناء خاص بها . ومما لا ريب فيه ان البنائين والحفارين السور بين كان لهم تأثير يذكر في النمط المعروف بالبزنطي . والنقاشون الذين زينوا جدران پوميبي اصلهم اما من الاسكندرية او من ساحل سوريا . والمهندس الاول للامبراطور تراجانوس واسمه اپولودرس الذي بنى له

(١) سترابو ١٤: ٢ و ٢٩ (٢) سماها جغرافيو العرب سيمساط وتعرف اليوم باسم سمساط

(٣) اطلقنا لفظة «منطق» على «Rhetoric» وهو عند الاقدمين علم الكلام وكان يتناول المنطق وعلم اللغة والعقليات وعلم العبران

قصره وهيكله والجسر العظيم الذي عبر عليه الدانوب الى داشيا (رومانيا) كان دمشقياً

الدين - انما اعظم تأثير أثره المهاجرون السور يون في العالم اليوناني والروماني هو التأثير الديني . فقد اشتهر السور يون في كل عصر ومكان بغيرتهم الدينية . وما من امة - حتى ولا الامة المصرية - تفوقهم في المحافظة على معتقدها والدفاع عن آلهتها لاسيما تجاه الديانة المسيحية . وكان هم المهاجرين الاول بعد ان يستقر بهم المقام في المستعمرات ان يقيموا مذابحهم ويتمموا فروضهم الروحية وينشئوا اخوتهم الدينية . وكانت مدن سورية تقدم بالاعانات المالية المطلوبة لتحقيق هذه الغاية . ويظهر ان العامة بينهم كانت افعل من الكهنة والمتنبين وغيرهم من رجال الدين في نشر ديانتهم . فاهتمام المستعمرين بالدينيات لم يكن اقل منه بالعالميات والدعاة الحقيقيون انما كانوا التجار والصناع في المدن البحرية والمراكز الصناعية والجنود والضباط في العاصمة وعلى الحدود والحدام والخدمات في بيوت الاغنياء^(١) والارقاء في المزارع ومراكز الحكومة . وعلى هذه الصورة انتشرت في اوربا عبادة بعل دمشق وبعل هيليو پولس (بعلبك) وبعل حمص واطارغش التي عمت عبادتها سوريا وبعل مرقده اله بيروت (بريتس) الراقص وتموز (ادونس) الذي ناحت عليه نساء جبيل (بيبلوس) ومرناس اله غزّة الماطر . وآثار هياكل هذه الآلهة لم تزل اليوم قائمة في ايطاليا وفرنسا واسبانيا وغيرها . وقد حاول امبراطرة الزومان مرتين ابدال جوبتر الروماني ببعل السوري الامر الذي لا يستغرب من الدولة الرومانية السفيرية - وهي سورية الاصل - بقدر ما يستغرب من اورليانوس واصله من البركم (البانيا) . فاورليانوس هذا ادخل الى رومية الهاماً جديداً « الشمس التي لا تقهر » (Sol Invictus) والشمس مذكر عندهم واقام له هيكلاً نفيساً وجعله حامياً للملكة . والحقيقة ان جل ما عمله هذا الامبراطور انه نقل تمثال بعل من تدمر بعدما افتتحها جنوده

ومن الآلهة التي وجدت في نفوس الرومانيين مكاناً رجباً مثراً الاله الايراني الاصل الذي نشر السور يون عبادته وزاحم الديانة المسيحية الى ان كاد يتغلب عليها . وعندما أطلع كودس على اسرار ديانة مثراً اخذ الحكام والقضاة والاعيان يتسابقون لارضاء هذا الاله ويقدمون له القرابين والندور . ومن جملة الذين بنوا له الهياكل ذيقليطيانوس . وكان يوليانوس من مر يديه ومشيدي عبادته في القسطنطينية . ومن الآلهة التي انتشرت عبادتها

عن يد الرحالين السور بين بعل دُليشه Doliché (عينتاب) الذي وصلت عبادته الى المانيا وبريطانيا وافريقية وبلغ ما وُجد من الكتابات باسمه لليوم نحو المئة واكثرها باللاتينية على ان تأثيره هائل المستعمرين في العصر المسيحي لم يكن باقل منه في العصر الوثني . فهم الذين وضعوا اسس الحياة النسكية في بلاد الغرب . وكثير من آباء الكنيسة الاولين وشارحي عقائدها في مصر وبلاد اليونان واطاليا يرجع اصلهم الى ارومة سورية . ولما كان ذلك معروفا لدى الاكثريين او ممّا يسهل الوقوف عليه رأبنا ان نكتفي بالاشارة الى اثنين فقط منهم على سبيل التمثيل

لم يبق بين علماء الكنيسة الاولين من اشتهر بالدفاع عن المسيحية اشتهار بوسستينوس الشهيد . ولد عام ١٠٠ ب . م في فلاشيا نياپولس (نابولس) من ابوين وثنيين وبعد ان تنصر في افسس ابقى عليه الرداء الذي كان يتميز به فلاسفة العصر^(١) واخذ يتنقل من مكان الى آخر مبشراً بالمسيحية الى ان انتهى به الامر الى رومية فاستأجر فيها قاعة كبيرة كان ياتي فيها محاضراته . واخيراً استشهد في ازمير عام ١٦٣ او ١٦٤ ب . م وكما امتاز بوسستينوس بدفاعه عن المسيحية كذلك امتاز يوسيميوس بمعرفته تاريخها . وكان كلاهما سورياً . ولد يوسيميوس في فلسطين حوالي سنة ٢٦٠ ب . م وتوفي سنة ٣٤٠ . نزح الى مصر وسجن فيها بسبب معتقده الديني ثم عين اسقفاً على قيصرية . لم يكن مفكراً كبيراً ولا لاهوتياً عظيماً ولكنه كان بلا نزاع اوسع رجال عصره علماً واكثرهم معرفة . صادق الامبراطور قسطنطين وجلس الى يمينه في مجمع نيقية . واهم تأليفه تاريخ الكنيسة الشهير وبسبب هذا التاريخ أطلق عليه لقب « ابو تاريخ الكنيسة »

وعلى الجملة ترون ان الرقيق والجندي والتاجر والكاهن كانوا من اهم الوسائط لنقل عمران سوريا الى اثينا ورومية من حيث السياسة والعلم والفنون الجيلة والدين وان انتصار اليونان والرومان على سوريا كان انتصاراً حريياً — وهو اقل الانتصارات . اما سوريا فانتصرت عليهم عقلياً وروحياً . يظن الكثيرون ان التاريخ انما هو عبارة عن سرد سير العائلات الملكية والاحزاب السياسية والحقيقة ان الحاكم الحقيقي في كل زمان ومكان انما هو التاجر والمفكر والتموتل . حقاً لقد صدق من قال : « ان الشرق الذي تغلبت عليه رومية ساد عليها وهي متغلبة عليه »

العصر البندقي

في اواخر القرن السابع استنحل امر العرب وانتشرت سطوتهم من جبل طارق الى خليج العجم . ولم يكونوا في اول عهدهم من المولعين بركوب البحار . ومع انهم على تمادي الايام انقنوا الملاحة وسيروا سفنهم حتى الصين شرقاً — على ما نصّ المسعودي — والبرتغال غرباً فان بدهم ويد من خلفهم في حكم سوريا من نثر وممالك كانت ثقيلة على المدن التجارية التي على شطوط بحر الروم فضعت التجارة البحرية وكثر قرصان البحر مما اوقف تيار المهاجرة السورية لاسيا وان اوربا عندئذ كانت مضطربة الاحوال سائدة فيها الفوضى بداعي غزوات البرابرة من الشمال . ومن المشهور المتعارف ان عدداً ليس بقليل من بحارة العرب ومن المغاربة الذين عمت سلطتهم افريقية الشمالية الغربية والاندلس كانوا من عرب سوريا

تلك كانت الحال الى اواخر القرن الثاني عشر وانتهاء الحملة الصليبية الرابعة . فالحروب الصليبية المشومة كان من حسناتها انها جعلت الغرب يحنك ثانيه بالشرق والمراكب التي نقلت الحار بين اخذت تنقل البضائع والحبوب . عندئذ اتسع للبندقية مجال التجارة وفتحت في وجهها سبل الاتصال مع سوريا واخذت سطوتها البحرية بالازدياد . وكما كانت صور الى ان خربها الاسكندر وقرطاجنة الى ان دمرتها رومية هكذا اصبحت البندقية سيده البحار وعروس البحر المتوسط

وكان في البندقية مستعمرة سورية زاهية ذكرها الكاتب الافرنسي دينغ^(١) مستنداً الى تاريخ البندقية لدندولو^(٢) ومما قاله في وصفها ان اكثر ابنائها من امهات سوريات وآباء بندقيين وانها على ما يظهر اندجبت في بقية سكان المدينة حيث انقطع ذكرها من التاريخ وبقيت البندقية برغم منافسة جنوى وفلورنسا وعدائها محنكة تجارة البحر الى ان استولى الاتراك على القسطنطينية عام ١٤٥٣ فضربوها ضربة لم تكن بقاضية لولا ان اكتشفت طريق جديدة بين اوربا والهند هي طريق راس الرجاء الصالح فضعف شأن المدن البحرية السورية ونقص ظل البندقية

العصر الحديث

في اوائل القرن الرابع عشر انتشر استعمال الحك (الابرة المغنطيسية) بين بحارة

(١) صفحة ١٧٥ (طبع باريس سنة ١٨٣٠) G. D. Depping, Histoire de Commerce,

(٢) Chronica Veneziana, Dandolo.

إيطاليا والبرتغال وفرنسا وهولندا . وفي عام ١٤٨٦ وصل دياز البرتغالي صدفة الى طرف افريقية الجنوبي . وبعد ذلك باحدى عشرة سنة البحر موطنه فاسكو داغاما حول افريقية واتصل الى الهند عن طريق الانتلاتيك . وقبل انتهاء ذلك القرن اكتشف كولمبس اميركا . فتحوّلت الانظار من الشرق الى الغرب واصبح مركز التجارة والعمل وبالتالي التمدن ليس على سواحل بحر الروم الشرقية بل الغربية وامسى البرتغاليون بدل السور بين رواد التجارة وقادة المهاجرة والاستعمار

نجم التجارة كنجم الملك سيده ابدأ الى الغرب لكنه دائماً سابق له . كان المستعمرون في العهد القديم فينيقيين فقرطاجنيين فيونانياً فروماناً وفي العهد المتوسط سور بين فايطاليين من فلورنسا وجنوى والبندقية وفي العهد الحديث برتغاليين فاسبانيولاً فهولانديين فافرنسيساً فانكليزاً . وما ادراك ان تجار المستقبل ومستعمريه ليسوا اميركاناً فيابانيين فصينيين ؟

المهاجرون الى فرنسا — كثر بعد الحروب الصليبية عدد الذين هاجروا من سوريا الى سواحل فرنسا بقصد الاتجار ومتابعة الدروس . اشار اليهم مراراً غريغور يوس ده تور^(١) وده غوين^(٢) وازداد عدد هؤلاء بعد ان منج الباب العالي لفرنسا امتيازات خاصة وذلك عام ١٥٣٥ لاسيما وان السلطان سليمان عقد في العام التالي معاهدة مع فرنسوى الاول خول فيها فرنسا دون سواها حق الاتجار مع المملكة العثمانية . ومما استلقت نظرنا في براءة بحث بها الملك لويس الرابع عشر عام ١٦٤٩ قوله « ونأمر قناصل ونواب قناصل الدولة الفرنساوية . . . ان يركبوا في المراكب الفرنساوية او غيرها كل ماروني يريد ان يأتي الى بلاد النصرى اما للدرس العلوم او لغاية اخرى من غير ان يطلبوا منهم الا النول [الناولون] الذي في وسعهم ان يدفعوه »^(٣) ويحق لنا من هذا ان نستنتج ان جمهوراً من الموارنة كان قبل هذه البراءة يذهب الى فرنسا والافريقية خطر ذكر ذلك في بال الملك لويس الرابع عشر . ولا شك ان كثيرين اغنموا فرصة التسهيلات التي خولتهم اباها هذه البراءة . ولم يكن لويس الرابع عشر منفرداً في امر هذه البراءة فقد سبقه اليها لويس التاسع وجدد بعض عهدها لويس الخامس عشر ونابوليون الاول والثالث

ومما يدل على كثرة المهاجرين السور بين من غير الموارنة في بلاد الافرنسيس ان الروم

(١) غريغوري جلد ٤ فصل ٢٨

(٢) De Guignes, Mémoire sur le Commerce des Français dans le Levant.

(٣) تاريخ الدوبيه صفحة ٢٢٠

الكاثوليك منهم كانوا سنة ١٦٠٠ على كثرة من العدد بحيث تمكّنوا من إقامة معبد خاص بهم في ليشورن

المهاجرون الى ايطاليا - كان من نتائج الحروب الصليبية انها احكمت عرى الوداد بين الطائفة المارونية والكروسي البابوي وكان الرهبان الكاثوليك من افرنسيين وايطاليين يأخذون التلامذة السور بين الى اوربا ولقد امتاز من بين هؤلاء التلامذة جبرائيل القلاعي الذي سافر سنة ١٤٧٠ مع الرهبان الفرنسيين من القدس الى رومية حيث لبس اسكيم مار فرنسيس مع رفيقه يوحنا فدرس اصول اللغة اللاتينية وبرعا في العلوم الطبيعية والالهية وعاد جبرائيل الى قبرس اسقفًا وتوفي عام ١٥١٦ عن تأليف تاريخية جمّة وبعد ان ارسل البطريرك سمعان الحداثي عام ١٥١٣ رسوله ليطلب له التثبيت من رومية ووجد الرسول ما وجد من الصعوبة بداعي جهله اللاتينية شعر البطريرك بضرورة تعليم اللغة اللاتينية للرهبان المارونيين فارسل عام ١٥١٥ مع رئيس الرهبان الفرنسيين قسّين يصحبهما الخوري يوسف الى رومية لاجراز العلوم الدينية واللاتينية . ويوسف هذا هو اول من درّس اللغة السريانية في اوربا . وفي عام ١٥٧٩ أرسل تليذان آخران مع القاصد الرسولي . وعام ١٥٨١ اربعة . وعام ١٥٨٣ عشرة . فلما رأى البابا غريغوريوس الثالث عشر هذا الاقبال من التلامذة المارونيين اسّس لهم عام ١٥٨٤ كلية وخوّل كلا من الاساقفة ان يرسل ستة من رعيته . وعين خلفه في السدة البابوية للتلامذة المارونيين راتبًا خاصًا . ولما توفي الكردينال كرافا (سنة ١٥٩١) ذهبت كل تركته بموجب وصيته وقيمتها عشرة آلاف سكودي^(١) الى هذه الكلية . ولما توفي نصر الله بن شلق وهو من مواليد العاقورة ومهاجري ايطاليا ترك ثروة طائلة لبناء كلية في راثنا وجعل وكيله في ذلك القس جبرائيل الحصري . فتمّ أسست الكلية عام ١٦٣٩ وما لبثت ان انضمت عام ١٦٦٤ الى كلية رومية . كذلك اقام البابا غريغوريوس للموارنة مستشفى خاصًا على ما نصّت السيكلوبيدية الكاثوليكية الامر الذي يدل على ان عدد الموارنة من تلامذة وغيرهم كان في رومية عظيمًا . ولم يزل للموارنة في رومية لليوم حيّ معروف باسمهم زرنه لدى زيارتنا المدنية منذ اربع سنوات

وقد تخرّج في هذه الكلية المارونية في رومية عدد من العلماء الاعلام الذين نشروا

اللغات السامية لأول مرة في اوربا وبذلك نشروا معرفة الفلسفة الشرقية والتاريخ والتقدم الشرقي . منهم من رجع الى سوريا ولبنان وشغل مناصب خطيرة من السدة البطركية فمادون ومنهم من بقي في ايطاليا او نزح الى فرنسا يدرس ويدرس . فمن خريجي هذه الكلية الذين عادوا الى بلادهم العالم اللغوي جرجس ميخائيل عميره الذي سيم بطريكاراً عام ١٦٣٣ وهو مؤلف اول كتاب في اوربا في النحو السرياني . واسحق الشدراوي (ويعرف باللاتينية باسم Schadré) الذي اقيم اسقفاً على طرابلس الشام عام ١٦٢٩ ومن تأليفه كتاب نحو سرياني وترجمة كتاب « المناجاة بين المعلم والتلميذ » من اللاتينية الى العربية ومن الذين امتازوا من خريجي رومية جبرائيل الصمبوني وباللاتينية (Sionita) الذي وُلد في اهدن عام ١٥٧٧ وتوفي في باريس عام ١٦٤٨ بعد ان كان استاذاً في الشابترا برومية ثم ترجماناً للملك لويس الثالث عشر فاستاذ اللغات السامية في السوربون واحد المساعدين في ترجمة التوراة الكثيرة اللغات (polyglot) اعظمها الجامعة الافرنسية لقب دكتور وكان يتقاضى الحكومة الفرنسية التي ليرة سنوياً . كان جبرائيل احد الشابين اللذين اتخبطهما سفري ده برف من مدرسة رومية وارسلها الى فرنسا لترجمة التوراة . وكان سفري هذا سفيراً لفرنسا لدى الباب العالي واحد المولعين بالدروس الشرقية . اما الشاب الثاني فهو حنا الحصري الذي لم يقلّ علماً ومعرفة عن رصيفه الصمبوني . ولقد جرى بين هذين العالمين ولاجاي (Le Jay) رئيس تحرير التوراة ومتمولي طبعها خلاف أدى الى تداخل الكردينال الوزير ريشاليو الشهير الذي اعتقل الصمبوني في سجن قنسن ثلاثة اشهر سنة ١٦٤٠ . ثم قام ابرهم الحاقلافي (باللاتينية Ecchelensis) المنسوب الى حافل بلينان . وكان استاذ اللغتين العربية والسريانية في البروپيغندا برومية وفي الكلية الملكية بباريس ونشر عام ١٦٤١ ملخص تاريخ الفلسفة الشرقية باللغة الافرنسية ثم ترجم تاريخ ابن الراهب الحصري . وعملاً باقتراح فرنند الثاني دوق تسكني ترجم من العربية الى اللاتينية الجزء الخامس والسادس والسابع من كتاب الهندسة تأليف ابولونيوس الذي عاش في الاسكندرية . توفي الحاقلافي في رومية عام ١٦٦٤ عن اربعة وستين تأليفاً في التاريخ الشرقي والفلسفة واللغات السامية

ومن علماء القرن السابع عشر اسطفان الدوبيي صاحب التأليف الشهير في تاريخ الطائفة المارونية . اقام في رومية يدرس وينقب من عام ١٦٤١ الى عام ١٦٥٤ وتوفي بطريكاراً عام ١٧٠٤ . وعاصره مريج نمرون (باللاتينية Faustus Naironius)

واصله من بان في لبنان وبعد ان اتم دروسه في رومية شغل مركز خاله ابراهيم الحافلا في الشاينزا وهو اول من وضع تاريخ الموارنة باللاتينية. توفي على قول ده لاروك^(١) عام ١٧١١ اما شيخه هو لاء الفطاحل الاعلام واميرهم بلا نزاع فهو يوسف سمعان السمعاني وهو احد ثلاثة معروفين باسم السمعاني وقد جاءت حياته حلقة الاتصال بين العلوم الشرقية والغربية. فالسمعاني ان لم يكن مبتدع العلوم الشرقية فهو بلا شك اول «مستشرق». وُلد عام ١٦٨٧ في طرابلس الشام ووالده من حصرون ذهب الى طرابلس لقضاء فصل الشتاء فولد فيها. ومات في رومية عام ١٧٦٨. اوفده البابا مرتين الى سوريا لجمع مخطوطات وكتب وللنظر في معتقدات الكنيسة المارونية التي كانت تمارس اموراً غير مرضية في نظر ارباب الدين الكاثوليكي. في سنة ١٧٣٢ مماه كارلوس الرابع ملك نابولي وصقلية مؤرخ مملكته الرسمي ثم امر ان يُحسب من اعيان تلك المملكة كالمولودين فيها. وفي السنة نفسها عينه البابا اكليندس الثاني عشر مديراً ثانياً لمكتبة الفاتيكان فنشر ووقف على طبع عشرات من المخطوطات السريانية والعربية والايبوبية والارمنية والفارسية والعبرانية واليونانية. اما اهم مؤلفاته فهي «المكتبة الشرقية» التي لم تزل ليومنا هذا قبلة المستشرقين واهم مصدر يستقون منه ملاحظة ختامية.

كانت المستعمرات التي شادها الرومان نتيجة انتصاراتهم. ومستعمرات اليونان نتيجة احزاب سياسية تفشل فتترك البلاد. ومستعمرات البرتغال واسبانيا في اميركا وهولاندا في افريقيا الجنوبية وانكلترا في استراليا اكثرها زراعية وبعضها حربية. اما المستعمرات السورية فكانت بالاكثر تجارية. تلك قامت بها الحكومة او الامة وكثيراً ما امتدتا بالمال وهذه قام بها الافراد مستقلين. تلك احتفظت بكيانها فطالت حياتها اما هذه فقصر اجلها وابتلع المحيط الجديد سكانها فاندغمت فيه. تلك كان لها غرض سياسي او حربي اما هذه فغرضها الارتزاق والكسب ومطوعة ميل النفس الى التنقل والتجوال وهي مسببة في اوائل عهدها عن ازدحام السكان في سوريا وموقع سوريا الجغرافي اما في القرون الوسطى والحديثة فعن الاضطهاد الديني او القومي وعن الضغط الاقتصادي. وعلى الجملة فتاريخ المهاجرة السورية انما هو فصل مفعم بالفوائد من تاريخ المهاجرات ناطق بشجاعة السور بين وذكائهم واقدامهم وطموحهم الى المعالي

فيليب حتي

جامعة كولمبيا بنيويورك

الحياة بعد الموت

(مناجاة الارواح (تابع ما قبله)

(خلاصة ما في اجزاء المجلد الخمسين - كان للسر اوليفر لدج العالم الطبيعي المشهور ولد اسمه ريمند وهو اصغر ابنائه قتل في هذه الحرب في فرنسا . وقد جاءه اذار قبل ذلك من اميركا من روح الاستاذ ميرس عن يد مسز بيبرس يشير الى قتله . والاستاذ ميرس كان في حياته من اكبر الباحثين في المباحث النفسية ومناجاة الارواح ومسز بيبرس من اللواتي يبنن النوم المغنطيسي ويدعين مناجاة الارواح . ثم تكلم السر اوليفر لدج هو وزوجته مع روح ابنه عن يد امرأة اسمها مسز كندي وامرأة اخرى اسمها مسز ليونارد ورجل اسمه بيترس والاولى تكتب يدُها ما يوحى اليها او تفكر به والثانية تناجي الارواح بواسطة مرشدة اسمها فدى توحى اليها او تحرك مائدة يضع الحضور ايديهم عليها ويتلون حروف الهجاء فتقف عند الحروف التي مجموعها يوَلَف الكلمة او العبارة التي تريد الروح القاءها اليهم . والثالث يقع عليه الذهول فينطق بما تناجيه به الارواح بواسطة مرشدة له اسمه مونستون . وقد ألف السر اوليفر لدج كتاباً كبيراً في هذا الموضوع فخلصنا منه ما تقدم وعقبنا عليه بما رأيناه موجباً للشك في ان الوسيط كان يتكلم بلسان الروح . ووعدنا بتلخيص ما بقي والتعقيب عليه بما نراه وانجازاً لذلك نقول)

مهما نسبنا من الذهول الى السر اوليفر لدج واهل بيته لا ننصفه اذا لم نقل انه تحرّى البحث تحرياً دقيقاً جداً وأشار الى كل ما يمكن وقوع الخطأ فيه اشارة عالم محقق شأنه في سائر مباحثه العلمية . فقد قال مثلاً في حركات المائدة انه لا يمكن الاعتماد عليها اذا كان الامر الذي تُسأل عنه معروفاً لدى احد من الذين يضعون ايديهم عليها لئلا يجر كوها ولو على غير قصد منهم حركات تطابق ما يعلمونه عن الشيء الذي تسأل الروح عنه . ولكننا نرى ان شروط البحث في هذا الموضوع تستلزم ان نفرض فرضين آخرين الاول ان الذين يعتقدون بصحة حركات المائدة معروضون للذهول الذاتي وهو لاء متى ذهلوا تذكروا اموراً محفوظة في عقولهم الباطن لا يتذكرونها في حال الانتباه كما ان النائم يتذكر اموراً لا يتذكرها في اليقظة بل قد ينساها في اليقظة بعدما يتذكرها في الحلم . والثاني ان المعرضين للذهول او للتهميج العصبي يرون اشياء لا يراها غيرهم ولا وجود لها في الخارج ويسمعون

اصواتاً لا يسميها غيرهم ولا وجود لها في الخارج وامثلة ذلك كثيرة لا تحصى . فكم من شخص يقول انه يرى في القمر صورة وجه انسان او وجه رجل ووجه امرأة ولا تستطيع ان تصرفه عن اعتقاده هذا . مما حاولت بل قد تصير ترى ما يراه هو . واذا ثبت ان الانسان يتذكر في حالة الذهول اموراً يكون قد علمها ونسيها وهو في حال الانتباه وانه قد يرى ويسمع اشياء واصواتاً لا وجود لها لانه يتوقعها او يتوهمها — اذا ثبت ذلك وهو ثابت سهل لتعليل اكثر ما روي عن مناجاة الارواح كما ظهر لنا بالاخبار

لكن السر اوليثر لدج لم يراع هذين الفرضين على ما يظهر كأن رغبته الشديدة وثقته الاكيدة في اثبات مناجاة الارواح حملته على اغفالها واكتفى باستنباط مسائل لا يعرف الوسطاء حلها . قال ان اولاده كانوا لا يزالون يشكون في صحة هذه المناجاة فاجتمعوا واستنبطوا مسائل تشير الى امور طفيفة يحسبون ان اخاهم لا يزال يتذكرها ولكنه هو اي السر اوليثر لا يعرفها لانها حدثت لهم وهم يقضون فسيحة الصيف في اماكن بعيدة عنه متنزهين باللاتوموبيل . وكتبوا هذه المسائل وسلموها اليه في ١٢ اكتوبر سنة ١٩١٥ في ظرف مقفل فاخذها وذهب بها الى لندن وفتح الظرف في الطريق وهو ذاهب الى بيت الوسيطة مسز ليونارد وكانت لادي لدج معه وجلسا حول المائدة الساعة الخامسة والدقيقة ٣٠ بعد الظهر

وقد حضر هذه الجلسة الدكتور كندي وزوجته . وقال السر اوليثر في بداية الجلسة انه جاء قصد الوقوف على ادلة مزكاة وانه قد استعد لذلك ولا بد من ان الارواح تستطيع ما فعل وتساعد على اظهار الحقيقة . وبعد ثلاث دقائق ونصف تحركت المائدة حركة خفيفة فقال السر اوليثر ابولس هناك (وهو ابن مسز كندي وكان قد توفي)

المائدة — نعم

لدج — آتيت برميند معك

المائدة — نعم

لدج — آنت هناك يا رميند

المائدة — نعم . فحيته امه اولاً وقال ابوه — هوذا يا ابني قد اتيتك بمسائل يظن اخوتك انك تعرف ان تجيب عنها اما انا فلا اعرف شيئاً عنها وغرضهم ان يتحققوا اننا لا نساعدك في الاجابة على غير قصد منا كما يحدث لو كنا نعرف اجوبتها اما الآن فلا احد من الحضور يعرف اجوبة هذه المسائل فهل فهمت مرادي

المائدة - نعم

لدج - احسنت اذاً هل ابتدئُ

المائدة - لا

لدج - اراك تريد ان نقول شيئاً قبل ذلك

المائدة - نعم

لدج - اذن نتلو حروف الهجاء

المائدة - قل لم الآن اجتهدوا لنثبتوا ان عندي رسالة الى العالم

(اي ان الكاتب كتب الحروف التي وقفت عندها المائدة فكان منها هذه العبارة)

لدج - اهذا كل ما تريد ان نقوله المائدة - نعم

لدج - اذن اتلو عليك مسألة من مسائل اخوتك ولا بد لي من ان اقول لك قبل ذلك

انه لا ينتظر منك ان تفهم دائماً المراد او ان تجيبنا عن كل هذه المسائل فاذا تعذرت

عليك الاجابة عن مسألة فاني انتقل الى غيرها . فلا تستعجل ونحن نكتب ما نقوله لنا .

والمسألة الاولى هي هذه انتذكر شيئاً عن الارغونوط Argonauts اي هل تجد لهذه

الكلمة علاقة ما في ذهنك . تمهل وافكر

المائدة - نعم

لدج - انريد ان نقول لي ما الذي نتذكره من امرها

المائدة - نعم

ثم تليت حروف الهجاء فكان مجموع الحروف التي وقفت عندها المائدة كلمة تلغراف

لدج - اهذه نهاية الجواب المائدة - نعم لدج - اذن نتقدم

الى المسألة الثانية وهي ماذا نتذكر من امر دارتمور Dartmoor

ولحال شرعت المائدة تتحرك ووقفت عند حروف معناها « نازلون »

لدج - اهذا كل ما تريد ان نقوله

المائدة - لا

لدج - اذاً كمّل الجواب

المائدة - هل فري HILL FERRY

لدج - اهذا كل ما تريد ان نقوله

المائدة - نعم

لدج - اذن اذكر لك المسألة الثالثة وهي معقدة نوعاً على ما يظهر لي ماذا تفهم بقولنا « اقترود O. B, P. اخت القبصر »

وعقب السر اوليقر لدج على ذلك قائلاً « ان اجوبة هذه المسائل الثلاث لم تكن طبق المراد والظاهر انها لم تذكر بما يراد بها . ثم سئل عن اسم الشخص الذي اعطاه كلبه فاجاب جواباً صحيحاً ولكننا نحن كنعنا نعرف اسمه »

لكن السر اوليقر لدج لم يكتف بذلك بل يبحث عن علاقة الاجوبة الثلاثة الاولى بمسائلها فلم من بناته ان للجواب الاول وهو كلمة تلغراف بكلمة ارغونوط فان اولاده وريمند معهم ساروا للنزهة بالاتوموبيل في العام السابق وبعثوا بتلغراف الى البيت وقعه بكلمة « ارغونوط » اما ابناؤه فلا يتذكرون ذلك بل قالوا انهم ارادوا بكلمة ارغونوط اسم يخت وصفه بعضهم وصفاً شعرباً نفيساً في كتاب قرأوه هم واخوهم معاً . وعندنا ان كان الامر كما قال السر اوليقر فلا يبعد ان تكون زوجته رأت ذلك التلغراف وتوقع ابناؤها فيه وبقي هذا محفوظاً في ذهنها الباطن فتحكت في حركات المائدة بحسبه وهي لا تدري

اما الجواب " دارتمور " فقال اخوته فيه انه صحيح ولكنه ليس المراد وانهم لا يتذكرون وجود فري هناك (ومعنى فري ferry معدية او عبارة او معبر) . قال السر اوليقر « وفي ٢٢ اكتوبر سألت مسز ليونارد ان تستحضر ريمند وتسأله عما اراد بكلمة دارتمور وبكلمة فري فاجابها بلسان فدى مرشدتها « انه حدث ما يوجب الخوف فوضعوا الفرملة (الضاغطة) على عجل الاتوموبيل ونزلوا في المنعطف » . فظننت حينئذ ان هذا الكلام من قبيل الهذر ثم وجدت لدى البحث ان ريمند واخوته لما كانوا في النزهة التي اشترت اليها انكسر المسكت (السلسيه) الذي في الاتوموبيل فخرج منه صوت يصم الآذان وكان امامهم اكمة عالية واقفة ثم نزلوا في منحدرات شديدة ورأوا امامهم اكواً ضيقة فشدوا الضاغطة . وكانوا ينتظرون ان يشير ريمند الى الصوت الذي سمعوه عند انكسار المسكت فلم يشير اليه . وعند السر اوليقر ان ريمند اصاب ولولم يأت جوابه مطابقاً لما اراده اخوته

ويظهر لنا ان حادثة مثل هذه يتعرض فيها اولاد السر اوليقر لدج للخطر الشديد بعد ان لا تكون قد ذكرت بتفاصيلها في بيته مراراً وعرف بها هو وزوجته والجيران

والمعارف فأثرت معرفته أو معرفة زوجته لها في حركات المائدة أو انطلقت مسز ليونارد بشيء مما سمعته قبلاً عن هذه الحادثة

ثم سألتها السر أوليشر قائلاً هل قال ريمند شيئاً عن الفري

فاجابت انه لا يتذكر انه قال شيئاً

لدج - ولكن انا اذكر

الوسيطه - قال نعم ولكنه لا يريد ان يذكر شيئاً عنه الآن ويقول ان ذكره كان

على سبيل العرض وقد اراد ان يقول تلة لا معبراً ولا علاقة بين الاثنين

قال السر أوليشر انه راجع ريمند مرة أخرى في مسألة الفري فقال ان له علاقة

بنزته مع اخوته بالا تومويل ولو كان البعض لا يسمونه فري . ثم كتب اليه ابنه اسكندر

في ١٨ اغسطس سنة ١٩١٦ يقول انهم وهم سائرون في تلك النزهة مروا بالمدينة برين فري

(وهي مدينة بحرية صغيرة في بلاد ويس) حيث رأوا معبراً صغيراً جميلاً

ويظهر لنا ان كل ما تقدم من هذه الادلة يمكن تعليقه بان رحلة اولاد السر أوليشر لدج

كانت اخبارها معروفة في بيته وبين زواره وذلك اقرب الى العقل من فرض امور

تخالف اخبار جمهور الناس في كل العصور

لكن هذه الجلسة مع مسز ليونارد لم تنته هناك بل جاءت فيها امور اخرى ذكر السر

أوليشر بعضها بالتفصيل قال . قالت الوسيطه يظهر لي انه ينتظر مجيء اخيه الى هنا الآن

لدج - سيأتي اخوك ويراك غداً

الوسيطه - اين هو فان ريمند يظن ان اخاه هنا وانه سيأتي الى هنا قريباً فانه

يريد ان يتصل به بنفسه وقد حاول مخاطبته ويظهر ان له علاقة بمسز كاتي^(١) وقد جرب

ان يكتب اليه . والامر الذي تبعه انه لا يستطيع ان يستجلي ما يراه . (ثم التفتت الى

لادي لدج وقالت) انه يراك حينما تكونين جالسة الى المائدة ويرى ما تكونين لاسية واذا

اراد ان يأتي اليك ادرك وجودك بشعوره الباطن فقط واما في جلسة المائدة فيراك فعلاً

لدج - هل رأى اخوته حول المائدة

الوسيطه - لا يراهم حول المائدة بل يشعر بوجودهم شعوراً وافكر انهم يحاولون

التكلم معه ولكنه لم يشعر كأنه سيدنو منهم . ولا بد من الوسيط

لادي لدج - متى رأي

(١) اسم مسز كندي الذي تسميها به فدى مرشد مسز ليونارد فان اسمها الاصلي كاترين

الوسيطه — اذا كانت الوسيطه حاضره رآك جلياً . لم يرك هنا بل في مكان آخر رآك في مكان آخر في لندن منذ مدة وقد دُهِش لما رآك ولم يفهم كيف رآك . وهو انما يفكر بالامور التي يريد ان يقولها . « قولي لم ليواظبوا على خطبتهم وهذا لا يتعني ابداً قولي لم ليصبروا والامر يهمني اكثر مما يهمهم » . لا يظهر انه اتم شيئاً وهذا مما يستغرب فانه ليس على ثقة من انه قد قال ما يود ان يقول الا اذا كانت الامور واضحاً جداً وادركتم معناه حالاً . احياناً يشعر شعوراً ويتلمس تلمساً . يجب ان يتساهلوا معه ولا يفرطوا في سؤاله مرة واحدة . اذا صبروا استطاع ان يأتي وقتاً ما ويخاطبهم كأنه حاضر معهم لادي لدج — انعين انه سيخاطبنا بصوت مسموع

الوسيطه — كلا بل بواسطة المائدة . واهم من الكلام انجاز الامور مع اهله واقامة الادلة القاطعة لهم . ولا يريد ان يتعبوه بمسائل يتحنونها بها امتحاناً قبلما يعتاد مخاطبتهم . لا مانع من هذه المسائل هنا حيث يوجد وسيطة ولكن ليس الامر كذلك في كل مكان . قولي لم ليثقوا انه هو نفسه الذي يتكلم وبعد قليل سيصير قادراً على مخاطبتهم رأساً ويقول لهم كل ما يريد ان يقوله . انهم مهتمون بامتحانهم . متى جاء جده يخفف عنه بعض المشقة . وهو لا يريد ان يتكلم بنفسه . مرتين في الاسبوع . اتي الآن ومعه ابنة فتاة نامية في الروح تقربه شعرها ذهبي طويل وهي طويلة القامة جميلة المنظر وفي يدها زنبقة . وهنا روح ولد آخر ذهب طفلاً لا تعرفونه اذا رأيتموه كما هو الآن . يظهر ان عمره مثل عمر ريمند وقد احضر معه W (جده لامي) وقلم يعرف شيئاً عن الارض او عن الزنبق فانه ذهب طفلاً وكلاهما مع ريمند ويظهر انهما روحيان صغيرا السن فان الاشخاص الروحانيين يبقون منظرهم منظر الحداثة اذا ذهبوا في حداثتهم . وريمند واقف في الوسط بينهما . ويقول ان هذا لا ينطبق على العلم . وهو مسرور الآن ولا يقول ذلك لكي يرضيكم بل هو مسرور حقيقة ويقول ان الامر يسره اكثر مما كان يسره على الارض خمسين ضعفاً لان مجال العمل واسع جداً هناك وانه هو وابوه سيمملان اعمالاً عظيمة . وقد قال انه يساعد باقضي جهده (والتفتت الى لادي لدج وقالت) اذا كنت مسرورة زاد سروري انا ايضاً . لقد كنت نحسرين وهذا يؤلمه كثيراً لكن الامر هان عليك الآن . اما ابي فرحب الصدر وقد كان مع بولس وذهب ورأى مسز كاتي ايضاً

لادي لدج — اي الطرق امهل عليه

الوسيطه — يقدران يؤثر فيكم تأثيراً كما يقدر ان يخاطبكم كتابة ويظن انه يستطيع

ان يجعل صوته مسموعاً لكم اي يجعلكم من الذين يسمعون اصوات الارواح . فلا محل لاساءة الظن فانه يتوخي ذلك لارضاء نفسه وبتوقع النجاح فيه

لدج - يمكنك ان تبلغنا ذلك بوسائل مختلفة

الوسيلة - قال نعم ولا حاجة به الى الافاضة ولكنه سيفكر في الامر وبقدر ان بدع مسز كندي تكتب ما يريد ثم يتكلم بواسطة المائدة ويحسب انه يستطيع ان يفعل كثيراً بواسطتها . ويعلم ان بولس هنا

لدج - انظن ان الافضل لنا ان نجرب ذلك في اليوم نفسه او في يوم آخر
الوسيلة - في اليوم نفسه أولاً وانظروا ماذا تكون النتيجة وهو يسر جداً ولو اتفقت مسز كندي والمائدة في كلمة واحدة فقط . وسيتهد لكي يقول بواسطتها كلمة واحدة في اول الامر ثم كلمتين ثم ثلاثاً

مسز كندي - اريد ان اطلب منه لكي يجعلني اكتب كلمة عن لسانه
الوسيلة - سيفتكر بكلمة يناجيك بها عليك ان لا تشكي بل تكتفي ما يناجيك به فان كلمة واحدة قد تكون ادل من خطبة طويلة . كلمة واحدة تكفي ولو كانت خالية من المعنى . لقد طفر الآن (اي فرح فرحاً) وقال ان الامر صعب عليه لانه مضطر ان يتكلم بواسطة وسيط ولذلك يتعذر عليه ان يقول كل ما يريد ان يقوله ومع ذلك فانه يظن انه نجح جداً هذه الليلة

ان كلام هذه الوسيلة بعضه عن لسان فدى مرشدتها وبعضه نقلته فدى عن ريمند ابن السر اليفر لدج . وفي بعضه اشارات الى جلسات سابقة وردت خلاصتها في الاجزاء السابقة . ويظهر عليه كله ان المرأة محالة قاصدة التدجيل على غيرها او مخلصة ولكنها عصبية تنبّه ذهنها الباطن فذكر بعض ما في محفوظه وهي لا تدري ما نقول

والظاهر ان اولاد السر اوليفر لدج اقتنعوا بعد ذلك ان روح اخيهم ريمند كانت تجلي للوسطاء وتكلمهم بواسطتهم كما اقتنع ابوه وامه . وسنورد خلاصة بعض الجلسات التي ناجتهم روحه فيها ونعقب عليها بما يبدو لنا ونتابع هذا الموضوع الى آخر ما وصل اليه في هذه الايام لانه اهم المواضيع التي طرقها العلماء والفلاسفة في كل مكان وزمان . ولا اهم من اثبات الحياة بعد الموت والحالة التي تكون فيها نفس الانسان بعد موته اثباتاً علمياً مبنياً على المشاهدة والحس والامتحان

ظرائف من ادب العرب

(٤)

جاؤا على بكرة ابيهم

« مثل يُضرب للجماعة اذا جاؤا كلهم ولم يتخلف منهم احد . والبكرة الفتية من الابل . واصل هذا المثل انه كان لرجل من العرب عشرة بنين فخرجوا الى الصيد فوقعوا في ارض العدو فقتلوا ووضعوا رؤسهم في مخلاة وعلقوا المخلاة في رقبة بكرة كانت لابي المقتولين . فجاءت البكرة بعد هدوة من الليل فخرج ابوهم وظن ان الرؤوس بيض النعام وقال قد اصطادوا نعاما وارسلوا البيض فلما انكشف الامر قال الناس جاء بنو فلان على بكرة ابيهم »

قال في تاج العروس : جاؤا على بكرة ابيهم اذا جاؤا جميعا على آخرهم . وقال الاصمعي جاؤا على طريقة واحدة . وقال أبو عمرو جاؤا باجمعهم . وفي الحديث جاءت هوازن على بكرة ابيها هذه كلمة العرب يريدون بها الكثرة وتوفير العدد وانهم جاؤا جميعا لم يتخلف منهم احد . وقال ابو عبيدة معناه جاؤا بعضهم في اثربعض وليس هناك بكرة حقيقة . قال ابن جني وعندي ان قولهم جاؤا على بكرة ابيهم بمعنى جاؤا باجمعهم وهو قولك بكرت في كذا اي تقدمت فيه ومعناه جاؤا على اوليتهم اي لم يبقَ منهم احد وقال الزمخشري في اساس البلاغة « وجاؤا على بكرة ابيهم اي جميعا والاصل حديث الدَّهْم »

اما الدَّهْم فناقعة عمرو بن الزبَّان الذهلي قتل هو واخوته وحملت رؤوسهم عليها ف قيل اشأم من الدَّهْم . قال لسان العرب « وقيل للداهية دُهْم ان ناقعة كان يقال لها الدَّهْم وغزا قوم من العرب قوماً فقتل منهم سبعة اخوة فحملوا على الدَّهْم فصارت مثلاً في كل داهية . قال شمر وميمت ابن الاعرابي يروي عن المفضل ان هؤلاء بنو الزبَّان ابن مُجَالد خرجوا في طلب ابل لهم فلقبهم كثيف بن زهير فضرب اعناقهم ثم حمل رؤوسهم في جِوَالِقٍ وعلقه في عنق ناقعة يقال لها الدَّهْم وهي ناقعة عمرو بن الزبَّان ثم خلاها في الابل فراحت على الزبَّان فقال لما رأى الجِوَالِقَ اظن بني صاروا بيض نعام ثم اهوى بيده فادخلها في الجِوَالِقَ فاذا راس فلما رآه قال آخر البز على القلوص فذهبت مثلاً وقيل اثقل من حمل الدَّهْم واشأم من الدَّهْم »

وتجد في القواميس تحت باب الخاء ما فحواه: خوتعة رجل من غفيلة دلّ كثيف بن عمرو التغلبي واصحابه على بني الزبّان الذهلي لثار كان عند عمرو بن الزبان . فأتوهم وقد جلسوا على الغداء . فقال عمرو لا تشب الحرب بيننا وبينك . قال كلاً بل اقتلك واقتل اخوتك . قال فان كنت فاعلاً فأطلق هؤلاء الذين لم يتابسوا بالحروب فان وراءهم طالباً اطلب مني يعني اباهم . فقتلهم وجعل رؤوسهم في مخللة وعلقها في عنق ناقة لم يقال لها الدهيم . فجاءت الناقة والزبان ابوهم جالس امام بيته فبركت . فقامت الجارية وجست المخللة فقالت قد اصاب بنوك بيض النعام وادخلت يدها فاخرجت راس عمرو ثم رؤوس اخوته . ففصل الرؤوس ووضعها على ترس وقال آخر البز على القلوص^(١) اي هذا آخر عهدى بهم . وشبت الحرب بينه وبين بني غفيلة حتى ابادهم فضرب بخوتعة المثل في الشؤم . يقال هو أشأم من خوتعة . ويقال ايضاً للرجل الصحيح الكلام هو اصح من خوتعة لانه اخبر كثيف بن عمرو الخبر الصحيح

شيء من التوراة

« من لم يؤمن بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخذ رباً سوائى . من اصبح حزينا على الدنيا فكأنما اصبح ساخطاً على . من تواضع لغنى لاجل غناه ذهب ثلثا دينه . يا ابن آدم ما من يوم جديد الا ويأتي اليك من عندي رزقك وما من ليلة جديدة الا وتأتي الي الملائكة من عندك بعمل قبيح . خيرى اليك نازل وشرك الي صاعد . يا بني آدم اطيعوني بقدر حاجتكم الي واعصوني بقدر صبركم على النار واعملوا للدنيا بقدر لبثكم فيها وتزودوا للآخرة بقدر مكثكم فيها . يا بني آدم زارعوني وعاملوني واسلفوني اربحكم عندي ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . يا ابن آدم اخرج حب الدنيا من قلبك فانه لا يجتمع حب الدنيا وحيي في قلب واحد ابداً . يا ابن آدم اعمل بما امرتك وانت عما نهيتك اجعلك حياً لا تموت ابداً . يا ابن آدم اذا وجدت قساوة في قلبك وسقمآ في جسمك ونقيصة في مالك وحرمة^(٢) في رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعينك . يا ابن آدم اكثر من الزاد فالطريق بعيد وخفف الحمل فالصراط دقيق وأخلص العمل فان الناقد بصير واخر نومك الى القبور وفرك الى الميزان ولذاتك الى الجنة وكن لي اكن لك وتقرب الي بالاستهانة بالدنيا تبعده عن النار . يا ابن آدم ليس من انكسر

(١) البز السلاح كله . والقلوص الناقة الشابة او البكرة (٢) حرمة الرب التي حرماها

مركبته وبقي على لوح في وسط البحر باعظم مصيبة منك لانك من ذنوبك على بقين ومن عملك على خطر»

ولقد قضيت يوماً بليته بين دفني التوراة والانجيل فلم اعثر على هذه الآيات على سمو معانيها ولا على ما يشبهها الا قوله « اخرج حب الدنيا من قلبك فانه لا يجتمع حب الدنيا وحيي في قلب واحد ابدأ » فان له ما يشبهه في قول الانجيل « لا يقدر احد ان يخدم سيدين . لانه اما ان يبغض الواحد ويجب الآخر او يلازم الواحد ويخون الآخر . لا نقدر ان نتقدموا الله والمال » . والا قوله « ما لا عين رأت الخ » فقد جاء في احدي رسائل بولس الرسول قوله « ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان الخ » . وقد عثرت في المثل السائر لابن الاثير الكاتب . وفي البيان والتبيين للجاحظ . وغرر الخصائص الواضحة للوظواط . والعقد الفريد لابن عبد ربه . والكامل لابن الاثير المؤرخ . ومروج الذهب للمسعودي . والكشكول للعالمي . والمستطرف للابشهي على آيات قيل انها اخذت من التوراة وهي ليست فيها لا مبنية ولا معنى — لا في التوراة التي بين ايدي اليهود ولا في التوراة التي بين ايدي المسيحيين على شدة الخصاص بين الامتين الارض والقمر

« كما ان جرم القمر يقبل ضوء الشمس لكشافته وينعكس عنه لصقالته كذلك الارض تقبل ضوءها لكشافتها وتنعكس عنها لصقالتها لاحاطة الماء باكثرها وصيرورتها معها ككرة واحدة (١) . فاذن لو فرض شخص على القمر تكون الارض بالقياس اليه كالقمر بالنسبة اليها . وبجركة القمر حول الارض يخيل اليه انها متحركة حوله ويشاهد الاشكال الهلالية والبدرية وغيرها مدة شهر . لكن اذا كان لنا بدر كان له محاق واذا كان لنا خسوف كان له كسوف لوقوع اشعة بصره داخل مخروط ظل الارض ومنعه اياها من وقوعها على المستنير من الارض والماء والشمس . واذا كان لنا كسوف كان له خسوف لوقوع اشعة بصره داخل مخروط ظل القمر ومنعه اياها ان تقع على الارض . وكما يرى على وجه القمر المحو يرى على وجه الارض مثله »

هذا البيان الفلكي صحيح اجمالاً لا تفصيلاً . فان القمر لا يعكس ضوء الشمس لصقالته

(١) في هذه العبارة خطأ واضطراب ناشئان عن تعدد الضمائر وصعوبة ارجاعها الى الاسماء التي تنوب منابها . وصوابها « كذلك الارض تقبل ضوء الشمس لكشافتها وهي وبنعكس عنها هذا الضوء لصقالتها من احاطة الماء باكثرها وصيرورتها معه ككرة واحدة »

ولا الارض تعكسُ لذلك اذ لا حاجة للجسم ان يكون صقيل السطح لينعكس النور عنه . ومن رأيه ان الارض صقيلة لاحاطة الماء باكثرها ولا بدَّ ان يكون هذا حال القمر ايضاً في زعمه . ولكن المشهور ان القمر ارض موات لا ماء فيه ولا هواء . اما الحو فقد كانوا يظنون انه ما به يعرف الليل من النهار والنهار من الليل كما جاء في حديث هرقل ومعاوية . ولم يقل لنا صاحب الكشكول رأيه فيه وكل ما قال انه يُرى على وجه الارض من القمر مثل الحو الذي نراه نحن على القمر . وليس ذلك ببعيد فان الحو الذي نراه في القمر هو صورة ما فيه من الجبال والسهول . ولما كانت الارض كثيرة الجبال والنجار والسهول فلا بدع ان يرى سكان القمر عليها ما يراه سكان الارض عليه

الرشيد والبهلول

« لما وصل الرشيد الكوفة قاصداً الحج خرج اهل الكوفة للنظر اليه وهو في هودج عال فنادى البهلول يا هرون يا هرون فقال من المجترى علينا . فقيل هو البهلول . فرفع السيف فقال البهلول يا امير المؤمنين رويننا بالاسناد عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي جمره العقبة لا ضرب ولا طرد ولا قال اليك اليك . وتواضعك يا امير المؤمنين في سفرك هذا خير من تكبرك . فبكى الرشيد حتى جرت دموعه على الارض وقال احسنت يا بهلول زدنا . فقال ايما رجل آتاه الله مالاً وجمالاً وسلطاناً فاتفق ماله وعف جماله وعدل في سلطانه كتب في ديوان الله من الابرار . فقال له الرشيد احسنت وامر له بمجازة فقال لا حاجة لي فيها ردتها الي من اخذتها منه . قال فنجري عليك رزقاً يقوم بك . قال فرفع البهلول طرفه الى السماء وقال يا امير المؤمنين انا وانت عيال الله فبحال ان يذكرك وينساني »

والبهليل فرقة من المتصوفة والبهلول المذكور هنا هو ابو وهيب بن عمرو الصيرفي الكوفي المعروف ببهلول المخنون . قال الصلاح الكتبي في فوات الوفيات « وكان من عقلاء المجانين وله كلام مليح ونوادر واشعار . استقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسمعوا كلامه » . وذكر الشعراني ان الرشيد اجتمع به يوماً فقال له كنت اشتغي ان اراك فقال لكني انا لم اشدق اليك . فقال له عظمي . قال به اعظمك هذه قصورهم وهذه قبورهم . ثم قال كيف بك يا امير المؤمنين اذا اقامك الحق تعالى بين يديه فسألك عن الفقير والفيتل والقظير (هما القشرة الرقيقة بين النواة والتمر) وانت عطشان جوعان عريان واهل الموقف ينظرون اليك ويضحكون عليك . فخنقته العبرة . وكان بهلول بحاب الدعوة فامر له الرشيد

بصلة فردها عليه وقال ردّها الى من اخذتها منه قبل ان يطالبك بها اصحابها في الآخرة فلا تجد لهم شيئاً ترضيهم به . فبكى الرشيد »

زهد الخلفاء الراشدين

ولست نقرأ في كتب الادب اجمل مما قيل عن زهد الخلفاء الراشدين . روي عن ابي بكر الصديق انه لما حضرته الوفاة قال لعائشة « انا منذ ولينا امر المسلمين لم نأكل لم ديناراً ولا درهماً ولكننا قد اكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم وليس عندنا من فيء المسلمين الا هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة ^(١) فاذا مت فابعثي بالجميع الى عمر . فلما مات بعثته الى عمر فلما رآه بكى حتى سالت دموعه الى الارض وجعل يقول رحم الله ابا بكر لقد آتعب من بعده ويكرر ذلك وأمر برفعه . فقال عبد الرحمن بن عوف سبحان الله تسلب عيال أبي بكر عبداً وناضحاً وسحق قطيفة ^(٢) ثمها خمسة دراهم فلو أمرت بردها عليهم فقال لا والذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم لا يكون هذا في ولايتي ولا يخرج أبو بكر منه وأثقله انا »

وقيل إن زوجته اشتبهت حلواً فقال ليس لنا ما نشترى به فقالت انا استفضل ^(٣) من نفقتنا في عدة ايام ما نشترى به قال افعلي ففعلت ذلك فاجتمع لها في ايام كثيرة شيء يسير . فلما عرفت ذلك ليشتري به حلواً اخذه فردّه الى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقتي بمقدار ما نقصت كل يوم وغرمت ليبيت المال من ملك كان له . وكان يحلب للحمي اغنامهم فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا منائح ^(٤) دارنا . فسمعها فقال بلى لعمرى لأحلبنها لكم واني لأرجو ان لا يغيّر بي ما دخلت فيه فكان يحلب لهم ثم تحول الى المدينة بعد ستة اشهر من خلافته

وحدث أسلم عن عمر بن الخطاب قال : خرج عمر الى حرة واقم ^(٥) وانا معه حتى اذا كنا بصرار ^(٦) اذ نار تسعر فقال انطلق بنا اليهم فاذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون ^(٧) . فقال عمر السلام عليكم يا اصحاب الضوء وكره ان يقول يا اصحاب النار . قالت وعليك السلام . قال أدنو . قالت ادن بخير اودع . فدنا

(١) القطيفة دثار ذو وبر كالخمل (٢) الناضح البعير والسحق الثوب البالي وسحق قطيفة اي قطعة قطيفة بالية والاضافة بيانية (٣) اقصد او اترك فضلة (٤) المنائح جمع منيحة وهي النافثة او الشاة المحلوب تمطيها غيرك بمخيلها ثم بردها عليك (٥) مكان في ظاهر المدينة (٦) مكان مرتفع (٧) يتضورون جوعاً وبضيق

فقال ما بالك . قالت قصر بنا الليل والبرد . قال فما بال هو لاء الصبية يتضاغون . قالت من الجوع . قال واي شيء في هذه القدر . قالت مالي ما أسكتهم حتى يناموا فانا أعلمهم واوهمهم اني اصلح لهم شيئاً حتى يناموا الله بيننا وبين عمر . قال اي رحمك الله ما يدري بكم عمر . قالت يتولى امرنا ويغفل عنا . فاقبل علي وقال انطلق بنا فخرجنا نهول حتى اتينا دار الدقيق فاخرج عدلاً فيه كبة^(١) شحم فقال احمله على ظهري . قال أسلم فقلت انا احمله عنك مرتين او ثلاثاً . فقال آخر ذلك انت تحمل عني وزري يوم القيامة لا ام لك ؟ فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهول حتى انتهينا اليها فالتى ذلك عندها واخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها ذري علي وانا احسن^(٢) لك . وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذالحية عظيمة فجعلت انظر الى الدخان من خلل لحيتي حتى انضج ثم انزل القدر فائته بصحفاً فافرغها ثم قال أطعمهم وانا اسطح^(٣) لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك . وقام وقت معه فجعلت تقول جزاك الله خيراً انت اولي بهذا الامر من امير المؤمنين . فيقول قولني خيراً فانك اذا جئت امير المؤمنين وجدتي^(٤) هناك اب شاء الله . ثم تنحى ناحية ثم استقبلها ورخص لا يكفني حتى رأي الصبية يضحكون ويضطرون ثم ناموا وهدوا فقام وهو يحمد الله . فقال يا اسلم الجوع اسهرهم وابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى ارى ما رايت منهم »

وقال ابو هريرة : يرحم الله ابن حنمة^(٥) لقد رأيتُه عام الزمادة^(٦) وانه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت في يده وانه ليتعقب^(٧) هو وأسلم فلما رأني قال من اين يا ابا هريرة . قلت قريباً . فاخذت اعقبه فحملناه حتى انتهينا الى صرار فاذا نجو من عشرين بيتاً من محارب . فقال لهم ما اقدمكم . قالوا الجهد واخرجوا لنا جلد الميتة مشويّاً كانوا يأكلونه ورمة العظام مسجوفة كانوا يستقونها . فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر فما زال يطنخ حتى اشبعهم . ثم ارسل أسلم الى المدينة فجاءنا بacre فحملهم عليها حتى انزلهم الجبانة ثم كساهم وكان يختلف اليهم والى غيرهم حتى رفع الله ذلك »

فالفرق كبير بين هذا الزهد في حطام الدنيا من الخلفاء الراشدين وبين مجالي الابهة والفخفة التي كان الخلفاء بعدهم يتجلبون فيها ويفالون بها كلما معنوا في الايام

(١) كنبلة (٢) لعل الصبح أحسن لك اي اجعل القدر على النار (٣) أبسط الطعام حتى يبرد (٤) بدل وجدتي وهذا كثير في كلامهم (٥) اسم ام عمر (٦) عام جذب في ايام عمر اهلك الناس والاموال (٧) بنناوبان الحمل

مجون القضاة

« كتب بعض الادباء الى القاضي ابن قريظة سؤال فتوى ما يقول القاضي ابده الله تعالى في رجل سمى ابنه مداماً وكناه ابا الندامي . وسمي ابنته الزاج وكنها ابنة الافراح . وسمي عبده الشراب وكناه ابا الاطراب وسمي وليدته القهوة وكنها ام النشوة - ابنى عن بطلته ام يترك على خلاعه

« فكتب في الجواب لو نعت هذا لابي حنيفة لاقعده خليفة ولعقد له راية وقائل تحبها من خالف راية . ولو علمنا مكانه لمسحنا اركانه . فان اتبع هذه الاسماء افعالا وهذه الكنى استعمالا علمنا انه قد احيا دولة المجون واقام لواء ابنة الزرجون فبايعناه وشايعناه وان لم يكن الا اسماء سماها ما له بها من سلطان خلعنا طاعته وفرقنا جماعته . ففنى الى امام فعال احوج منا الى امام قوال »

والسؤال والجواب كلاهما مجون في مجون ولكن قارئاً يجمل ابن قريظة وابا حنيفة قد لا يدرك هذا المجون . اما ابن قريظة فكان قاضياً في بعض اعمال بغداد وكان عجباً في سرعة البديهة في الجواب عن جميع ما يسأل عنه بافصح لفظ واملح سجع . وكان رؤساء ذلك العصر (القرن العاشر للمسيح والرابع للهجرة) يداعبون ويكتبون اليه المسائل الغريبة المضحكة (كما ترى في السؤال المتقدم) فيكتب الجواب من غير توقف مطابقاً للسؤال . وكان الوزير ابو محمد المهلبى يغري به جماعة يضعون له الاسئلة الهزلية على معاني شتى من النوادر الهزلية ليحيب عنها بملها . ولما قدم الصاحب ابن عباد بغداد حضر مجلس الوزير المهلبى وكان فيه ابن قريظة فرأى من ظرفه وسرعة خاطره ما ادهشه

واما ابو حنيفة صاحب المذهب المشهور فعاش في القرن الثاني للهجرة . وكان عالماً ورعاً زاهداً ابعد اهل زمانه عن المجون . وعارف هذه الحقائق يدرك وجه المجون في قول ابن قريظة عنه ما قال . وكان كثير اللحن في العربية له لكنة ورطانة تنان على اصله الفارسي . وكان معاصراً للخليفة ابي جعفر المنصور واراد الخليفة على ولاية القضاء في بغداد فابى فاصر الخليفة وطال الحجاج بينهما فقال ابو حنيفة للمنصور « انى الله ولا ترع في امانتك الا من يخاف الله . والله ما انا مأمون الرضا فكيف اكون مأمون الغضب . ولو تهددتني ان تغرقني في الفرات او تلي الحكم لاخترت ان اغرق » فلم يرض بجوابه وزجه في السجن ثم خلى سبيله (نقيب)

في بادية الشام

(٢)

(الهزيم) بعد ان خبت بنا المطايا مرحلتين قصيرتين من الازرق^(١) بلغنا ضحى الثامن من ذي الحجة منازل الهزيم وهو مشتق من الهزم بالفتح والسكون وهو ما اطمان من الارض والهزيم بمعنى المفعول اي المنزل المظمن من الارض وهو في الواقع كذلك مستوي الرقعة ومبارك البقعة والمراعي الطيبة حوله قاصرة^(٢) ناضرة وفيه من القلب^(٣) المنقورة في الصخور الرملية ما يربي على العشرين والصخور متكئة وهي المدعوة بمصطلح الجيولوجيين بالكونغلو مريت فوقها طبقة رملية شحانة مترهي الارض . فالصخور كالارض التخنية في عرف الزراعيين

وماء هذه القلب شروب غير بعيد الغور وانما يتراوح ما بين طول القامة والقناة ويمتزج بابل الابل الواردة فتعزف نفس الحضري عن شربه فيشربه مضطراً . وقد ورد ذكر الهزيم في مجمع الجوهري بأنه موضع في قول عدي بن الرقاع حيث قال :

اخبر النفس انما الناس كالعي داب ما بين ثابت وهشيم
من ديار غشيتها دارسات بين قارات ضاحك فالهزيم

وبين الهزيم ودمشق ما بنيف على ٢٠٠ كيلو متر وفيه لبثنا يومين والثالث الاضي وبعثون مساء عرفة يوم العيد باطلاق الرصاص من كل صوب . وصباح عيد الاضي يضحون كثيراً من الابل وتراهم يدعو بعضهم بعضاً

ومن عادة الفقراء في هذا اليوم ان تأتي امرأة احدهم بقدرها للبعير المضحى وتقطع منه قدر الحاجة وتطيخه امام بيت رب الضحية ولا تحمل قدرها الا نضيجاً . وقد راجت في هذا اليوم سوقنا لاضطرارنا لاجابة دعوة كل من ضحى فكنا احثياطاً من التنافين نأكل كل من كل ضحية تنفة واذا اكرمنا المضحى فبتقديم السنام المقطع والسنام في نظر البدوي اسنى

(١) ذكرت في المقالة السابقة ان باقوت لم يعين مقر الازرق اذ بينه وبين تيباء مسافة ١٠٠٠ كيلو متر وكنت تركت في المقالة المخطوطة فراغاً لاجرار جهدي المقدار بالقياس المتري ثم نسبت وقد تمت للطبع قبل التحرير المقالة فاستدركت ما فرطت بالامس والمسافة هي تقريباً ٦٠٠ كيلو متر

(٢) المرعي القاصر لغة ما قرب من المورد (٣) قال الازهري: القلب عند العرب البئر العادية القديمة مطوية او غير مطوية والمجمع قلب مثل بريد وبرد . ويلفظها البدو اليوم المجلب

قيمة من نخذ الخروف الطري لدى الحضريين وكان هو لاء المضجون يطلبون منها قبل غسل
الايدي من الطعام ان نقرأ لارواح امواتهم الفاتحة
وما راقني في الهزيم الأغناء الماتحين (المستقين بالدلو) الرخيم وهم يسقون ابلهم الخوامس^(١)
الهم ويدعون هذا الغناء «الحدو» وهو الحداء يحنون به النوق على الشرب كما تحت به على
السير وقد ورثوا هذه العادة ولا رب عن اجدادهم الذين كانوا يغنون لابلهم حين المتح بانواع
الرجز وهي الايجز السهلة التي تناسب الحركة كالسير ونقل الاثقال والرقص والمتح والصراع
والقراع وذلك مما عابه الشعوية على العرب . وقد اتى الجاحظ في الرد عليهم بفصل الخطاب
قال في صدر الجزء الثالث من البيان والتبيين : « وكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال
وكأنه الهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة . ولا اجالة فكلوا استعانة . وانما هو ان يصرف
وهمه الى الكلام والى رجز يوم الخصام او حين يمتح على رأس بئر او يحدو ببيعير او عند
المقارعة والمناقلة او عند صراع او في حرب فما هو الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب
والى العمود الذي اليه يقصد فتأتيه المعاني ارسالا وتنثال عليه الالفاظ انشially . اقول وما
يدل على ان الامام الجاحظ يقل الحز بقوله اني كنت انتقل من قليب الى قليب واسمع
من الاقوال المرتجلة بين مديح وتشبيب ووصف ابل يغالون بحبتها وبالفون بمدحها ما تملأ
به الدفاتر وتحف له المحابر وما يهيج الطرب ويبعث الوجد ويشير في الماتحين النشاط ويشوق
السامعين الى المتح . فلقد وددت ان اساعدهم في المتح لاشارك الابل في الاصغاء والماتح في
الحداء وقد اخنص البدو قديما المتح بيجز الرجز لسهولة وتناسبه مع حركة القاء الدلاء في
البئر وتزعها كما انهم نظموها على هذا البحر الخفيف اراجيز الحداء . وبدؤ اليوم ينظمون
اراجيز المتح على مجزؤ الرجز المذيل . وما استظهرته على قلب الهزيم قولهم :

يا مرحبا بالزوامل شيلات الحامل

يا مرحبا بابلنا يا مبعديات منزلنا

يا مرحبا بابلنا والي بغينا شاننا

يا بوقرون المرس كل حبتين بفرس

يا مرحبا بالابل يا مزوجات الخبل

والبيت الاخير يدل على ان مهر نساء البدو الابل . وما يغنون به عند تحميل الاثقال
ونقلها قولهم :

(١) ابل الخوامس التي ترد على خمس اي كل خمسة ايام والهم العطاش

إبه يا شبال إانت ياللي حيلك حيل البنات
 واستعمت العرب الرجز لترقص البنين والبنات . فقد روي ان شيخاً من الاعراب
 تزوج جارية من رهطه وطمع ان تلده غلاماً فولدت جارية فجرها وهجر منزلها وصار
 بأوي الى غير بيتها فمر بخباتها بعد حول فاذا بها ترقص بنيتها وتقول :
 ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
 غضبان ان لا نلد البنينا تالله ما ذلك في ابدنا
 وانما ناخذ ما أعطينا

فلما سمع الشيخ الايات مر حضراً اي عادياً بفرسه حتى ولج عليها الجباء فقبلها وقبل
 بنيتها وقال ظلمتكم ورب الكعبة

ثم في الحادي والعشرين من ذي الحجة عزمت وصديقي المرحوم جلال الدين^(١)
 على استئناف التشريق والحق بشيخ الحويطات عودة ابي تائه قبل ان يبعد عنا كثيراً
 بتحوله عن مراحه ومخيمه لدى قليب العقيلة بجانب قرية كاف من قرى الملح
 والمسافة بيننا نحو ثلاثين كيلو متراً . وقد خرج الشيخ خنيفس خارج الحي لوداعنا
 واوصى بنا قريباً له متوجهاً على راحته وجهتنا واكد عليه التأكيده ان يريحنا بتناوب
 الامطاء في در بنا الذي لقينا منه لعمر الحق نصبا . فقد سرنا مقدار ساعة ثم شرعنا في
 اجياز سلسلة مستطيلة من الهضاب والآكام وهي مضبغة (مأوى للضباع) مخيفة . وقد
 تناوبنا مع رفيقنا السرحاني الركوب واضطرت احياناً للمشي محمداً بمداس شامي (كندرة)
 اخذاء صديقي الذي قرّح المداس قديمه فانه لم يصنع للهضاب والشعاب . ولما اتعبني
 اتعاله نزعته وسرت حافياً فارحت قديمي قليلاً الا انه سرعان ما يتعب الحضري الترف
 في وعوثة الرمال ووعورة الجبال فكنت افول في نفسي ليتني اعثدت قبل هذا الجلاء
 الخفاء وعملت بقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب : « احفوا واتعلوا فانكم لا تدرون متى
 تكون الجفلة » فلماذا اضطرتني تلك الجفلة فاحذيت كالسروجي الوجي واغذيت وصاحي
 الشجا واستبطنا الجوى . وطوبنا الاحشاء على الطوى . ثم بعد اللتيا والتي بلغنا عصارى
 النهار قرية كاف كبرى القرى المحمية وانحنى الراحلة في دار شيخها طلباً للراحة وكرعنا
 لشدة الظلم الماء كرعاً وقدم لنا طبق فيه من كل صنف من التمر الكافي زوجان فاكلنا من

(١) هو البخاري بالباء والحاء المعجمين نجل العلامة الشيخ سليم البخاري الذي طبع الاب لوبس شيخو
 على نسخته المنقحة كتاب الافاظ الكتابية

اطابيه قمرات نقيم الاصلاب وتنسي الانعاب . ثم اعدنا كرة السير الى العقيلة فبلغنا مخيم الحويطات والشمس هابطة لتتوارى بالحجاب ودخلنا فسطاط الشيخ عودة المنشود . وبعد ان سلمنا عليه واخذنا مقاعدنا بين البدو ألفينا فيهم نفرًا من الشام اقبلوا وسلموا علينا واخذوا في محادثتنا ولما سألونا عن الاسم رأينا من الحزم الكتم ومن الصواب ان نشك ونرتاب فقلت لهم اسمي عبد الله نديم وهو اسم كنت اخترته في الجولان تفاهلاً بالنجاة لما كان لهذا الاسم الميمون على صاحبه المعروف من الفضل والبركة . وقال صاحبي اسمي سالم . قالوا : والنسب ؟ قلنا من العرب . فقال احدهم عن اخي جلال انه لشقرته من بيت العظم واني من بيت الجزائري رجماً بالغيب . فسكتنا وكان السكوت اقرار . ثم قلنا لهم اننا لم نلذ بالفرار الا حذراً من التجند فمن الواجب عليكم لما بيننا من وحدة الوطن ان توصوا بنا الشيخ عودة الذي لم نكن لنعرفه من قبل وذلك كيما يسهل لنا الوصول الى الجوف . فوعدونا ووفوا بعد تناول العشاء اذ عرفوا الشيخ بنا تعريفاً حسناً دعاه ليقول وكأنه قد علم من مواطنينا العجونا وبجرنا : لا بأس لا بأس عليكم . ليفرج كربكم . وليأمن عندي سربكم . فاننا ايضاً من ذوي القومية . واخوان الجمعية فرحباً بكم اذ ندبتم اهلاً . فاصبتم سهلاً

(قُرَيَات الملح) جمع قُرَيْة تصغير قرية واضيفت للملح لان بها في كاف ملاحات طبيعية يعود ريعها لامير الجوف نواف الشعلان لا للديون العمومية وهي عبارة عن عدة واحات من الخيل في كل واحة عدة بيوت قروية مشيدة باللبن واهم هذه الواحات قريات ثلاث كبراهن قرية كاف فحنوة فأثرة . وفي كاف ما يزيد على عشرين الف نخلة باسقة جعل الله منها رزق اهل القريات ومن الملح بنقلونه الى حوران وعجلون والجولان على متون الزوامل . وقد علمت ان منهم من يشتري باثمانه بضائع دمشقية مما يصلح للبادية كي يبيعها للعرب فيربح من تجارة لن تبور ربحاً جمًّا . واما البدو فهم كما ذكرت يحملون جمالهم ملتحاً يدفعون ضريبة كل حمل ربالاً مجيداً ليبيعوا في ارياف الشام الملح بالخططة وفي ذلك معاش لهم وتخفيف لما يمتارون

(الحويطات) قبيلة قوية انتشرت مساكنها في الشام من محطة العلاء الى معان والعقبة وغزة وتشعبت فصائل وبطوناً كالتوائمة والجوازي و بني عطية والبدول والديبور وعمران والبطحة والطرايين وغيرهم وقد قدرهم الفاضل البتوني بسبعين الف بيت وذكر بينهم الجازاي وهم الجوازي الذين يقال لهم ايضاً بنو جازي وشيخهم عبطان بن جازي ابن عم عودة شيخ التوائمة . ومنازل كلتا الجوازي والتوائمة معان ولهم هناك بطش وصولة تخشاهما

الدولة التركية . وقد افترق منذ بضع سنين التوائمة عن بني عمهم الجوازي لفساد التي بين الشيخين فهجرت التوائمة منازل العمومة والخواوة إباءً وحرصاً على ان لا تطل بينهم وبني الاعمام الدماء هدرأ وحالفوا الدولة وصاروا يشرقون معهم ويغربون ثم توثقت عرى الاخاء والمودة بين نواف وعودة كثيراً فزادت بذلك الدولة قوة على قوة في بادية الشام

وحينما كنت نزبل التوائمة غزا الشيخ عودة ابن عمه عبطان مرتين فقتل في الاولى رئيس الحملة عناد بن عودة رحمه الله فقد كان شاباً حفيماً بنا — في السلم الرقيق المحبوب وفي حومة الوغى ابن كريمة ومردى حروب . وترأس الحملة الثانية الشيخ نفسه طلباً بثأر ولده وخليفته من بعده . ورافقه كوكبة من الدولة عليهم فارس الشعلان وخرج الفريقان ما بين فارس ورعي مطية مكفرين في السلاح . ومما يجدر بالحضري ان يضربه هنا مثلاً بجحد البدو وقوة احتمالهم ان الشيخ عودة حينما بلغه نعي حشاشته لم يقنعه ولم يبك ولا تندت بالدموع عيناه على ان الزنين في عرف الحضري استراحة المنكوب وفيضة الملالن

ان الشيخ عودة رجل عرفته البادية بكرمه ونجدته ونخوته العربية كما ان البدو يعدونه احد فحول الحرب في بادية الشام وقرومها . وله ابن عم يقال له محمد دحيلان يغزو معه ويشاطره هذه المناقب . وكثيراً ما كنت اذكر لعودة وقومه فظائع القتال وما ينجم عن الغزو المستمر من البلاء وسفك الدماء وانه محرم عقلاً وتقلاً فكانوا يعتذرون بان الغزو ضرر لا مفر منه ولم فيه معاش فلا يستغنون عنه . وان في الضرب بالنار اخذاً بالثار وغسلاً للعار وان لا طاقة لهم بجسمه اذ نفقه اكبر من اثمه . والغريب انهم يأخذون للغزو معهم الصبيان ليعتادوا من حدائهم شهود الميدان والثبات في معترك الفرسان . واما انا فمالي بالغزو ارب ولا لي به يدان . بل كنت حينما اجناب القفار اطلب السلامة من الحفيظ الستار وقد ظالما قلت في نفسي :

اشتهي ان لا ارى الغزو ولا الغزو يراني

(التضامن البدوي) ثروة البدوي لهذا الغزو سريعة الزوال ولا تستقر على حال نحكي ثروة المقامرين في المصفق (البورصة) اذ بينما ترى البدوي يضحى وهو ذو ثراء في ربه اذ بك تراه يمسى وهو لفقره المدقع كأن قد ضرب على بصره . وسمعه ولكن البدو من مناقبهم التضامن في البلوى والتظاهر على البر والتقوى فتراهم يتساقون الى مد يد المعونة للعزيز اذا ذل فهذا يوجد له ببعير وهذا بكساء وحصير وذلك بعنزة او عنزتين وذلك بقربة او غلبة والاخر يرضخ له بدرهمات يسترن مهتوك ستره ويرأى مصدوع امره

مكثنا بعد غزوة الشيخ بضعة ايام في مضر به الرفيع العباد الكثير الرماد وغيرنا مراحنا
 انجاءً وارتداداً حتى هبطنا ماء يقال له الخضر وكانه تصغير مخضري مكان الخضرة وماؤه
 شروب وكنا كلما معنا في التشريق امعن الجو بالاعندال ولجّ الهواء بالاعنلال مما جعلنا
 لا نأمن كثيراً على ما كتبه الله علينا من الجلاء وان كان قد قرنه بالقنل فقال: «ولو انا
 كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم» فقد كنا صباح
 مساء نتمتع النواظر بهيج المناظر المتعددة المتجددة ونستنشق انقي الهواء الفياح باربع الشيخ
 والقيصوم وناهيك بشهرة عطور جزيرتنا العربية التي غدت مضرب امثال الام الغربية مما
 اولع العرب بايثار باديتهم الطيبة على بلادنا الحضرية . وهم لتبدل المناظر امامهم كل حين
 عديم الحاجة للمسارح والصور المتحركة . فكل بيت من الشعر في نظريهم بيت من الشعر فلا
 غرو اذا ما اخبروا هذا البيت الخفيف المحبب على بيتنا المنيف المقبب . ولا اقول قولي هذا
 تعصباً لهؤلاء الاعراب الذين هم مادة قومي العرب فقد اقر لهم بذلك قبلي المستشرقون
 الرحالون واي شهادة ارجح من شهادة نابغة مستشرقات الانكليز الانسة
 جرترو بل Gertrude Lowthian Bell في رحلتها الموسومة بالغامر والعامر
 The desert and the sown. اذ تقول صفحة ٣٨ :

« وخيمة العربي مفتوحة لمهب الريح دائماً واذا ما اختلف المهب فالنساء ينقلن رواق البيت
 الى جهة أخرى فتري في لحظة ان بيتك قد تبدلت مرأته وواجه انسب المناظر الرائعة فهو
 على صغره وخفته يرى راسخاً بقوة لا تؤثر فيها العواصف الا قليلاً . وان المسام الغليظة
 لتسيح الخند من شعر الماعز لتتسع ثم تتضابق بالرطوبة فالبيت الى ان يكف بالمطر بحاجة
 الى ديمة مسوفة بعاصفة نكباء . ولكنني لم اكن مغرمًا بهذه البادية الا مرغمًا وانما المعول
 على الحبيب الاول . فقد كنت لحيني الى اوطاني وانيني لمفارقة خلاني كما قال الشاعر وفي
 قوله دليل ايضاً على غناء الماتحين وشقاء النازحين :

وما صاديات صمن يوماً وليلةً على الماء يخشين العصي حواني
 لوائب لا يصدرن عنه بوجهةٍ ولا هنّ من برد الحياض دواني
 يرين حباب الماء والموت دونه فهنّ لأصوات السقاة رواني
 باوجع مني جهد شوقٍ وغلةٍ اليها ولكن العدو عداني

عز الدين آل علم الدين

« للبحث صلة »

القدَرية والجبرية

المسؤولية

طبيعة فكرتها وكيفية تكوينها في النفس

(٥)

ان التطور الاجتماعي العظيم على سلم النزعات الفردية الذي وصفناه في الجزء الماضي يرى مجسماً في تاريخ الانسانية . فالآلهة وانصاف الآلهة القدماء والانبياء من بعدهم والملوك والشعراء والفلاسفة هم الذين كانوا المحور الذي دارت عليه المدينيات المتعاقبة . ولم يأخذ واحد من هؤلاء اسماً في التاريخ كعامل من عوامل الرقي او التدهور الانساني الا بمقدار نزعاته الخاصة الخارجة على النظام الاجتماعي السائد يوم وجوده . بل ان تراجمهم لتدل على انهم جميعاً كانوا منظورين بعين الاستغراب من الرأي السائد لتفوقهم في القيام في وجه الوحدات الايمانية الموطدة الاركان في النفوس . ولكن الذي لوحظ الى جانب ذلك ان نزعات الافراد الذين كانوا عوامل في رقي الانسانية كانت نزعات تتفق مع قوانين حياة الاجتماع الطبيعية من حيث هي . وبكلمة اخرى ان هؤلاء الافراد كانوا صحيحة الجنس نحو الكمال . وان هذه النزعات على ما فيها من مصادمة الرأي السائد لم تكن الا خطوات ضيقة جداً وكانت جمعيتهم مهيمنة لها وانما يقف في وجهها الماضي الذي قدس وحداته الايمانية حتى صارت في نظر المجموع عقيدة لا يمكن ان تتحول . اما الافراد الذين عملوا على تدرؤك الانسانية فكانت نزعاتهم ضد الاجتماع بل ضد الحياة — كانوا نذر الموت واعلام الدمار . كانوا افراداً ساعدتهم ظروف خاصة على الرجوع بالانسانية الى الوراء . ولكن الاجتماع اظهر القوة في كل الظروف التي حلت به فيها مثل هذه الكوارث فلم يدم في تدرؤك . ولهذا نرى استبداد ملوك الرومانيين لم يوقف سير المدنية الا قليلاً . بل لقد كانت شرور ذلك العصر سبباً في افاقات اقتضاها انفجار القوى المضغوطة رغم ما نوصى به طبيعة الحياة والتاريخ لدينا حافل يشهد بما تقدم . ولناخذ مارتين لوتر مثلاً . ومارتين لوتر من الرجال الذين هزوا الانسانية وقسموا المسيحية الى قسميها الكاثوليكية والبروتستانية . قام هذا البطل وسط العقائد والوحدات الايمانية السائدة في القرن الخامس عشر لميلاد المسيح . وكانت سيادة هذه العقائد من القوة بحيث لم يكن لمن يقاومها الا ملافاة حنفيه . فكم من

أرواح ازهقت لا شيء إلا أنها سمحت لابسطة انواع الانتقاد ان يوجه صادرًا منها الى بعض شعب غير رئيسية مما تفرّع عن هذه العقائد . ومثال هس وجيروم باق ناطق بما كان يلقاه المعارضون من انواع التعذيب الذي ينتهي بموتهم حرقاً ولكن عصر لوتر لم يكن عصر هس وجيروم . فقد كانت النفوس في عصره مهينة لقبول تعاليم جديدة شعرت بها لازمة لحياة الجماعة . لهذا ما كاد ينشر تعاليمه حتى رحّب به الانصار والاشياع . فلما استدعي الى مجمع ورمس ليناقد الحساب بعد ثلاث سنين من قيامه بنشر دعوته علت حوله الصيحات من كل جانب : « كن عند رأيك فانا معك » . وكذلك كان . فجعل بدافع ساعنين عن آرائه في خطبة القاها كانت ما سميناه نحن صحيحة الجنس نحو الكمال . ولقيت خطبته من اهل ذلك العصر استعداداً فاقرها الناس وكانت فاتحة عصر جديد . ولكنها في الواقع لم تكن إلا خطوة ضيقة اعدّ الماضي لها الناس فلما خطوها في عصر لوتر جاءت على اثرها خطوات تأسست عليها مدنية اوربا في العصر الحاضر

ومارتن لوتر ليس إلا المثل المتكرر من امثلة المصلحين الذين قاموا في الانسانية من يوم نشأتها الى العصر الحاضر . ولكن الاكثرين من هؤلاء الابطال المصلحين ان لم نقل كلهم اقرب الى الشعراء منهم الى المفكرين . لان من شأن المفكر ان تجند القوة العملية فيه بمقدار ذكاء قوته الفكرية . فالفكرة التي تكون في نفسه بدل ان تدفعه للعمل لاظهارها تنحل الى فكرة اخرى والى فكرة ثالثة وهلمّ جرّاً . وعلى ذلك تنقضى حياة المفكر في ملاحظات واستنتاجات وتشكيك في الملاحظات والاستنتاجات وردود على هذا التشكيك وموازرة للفكرة بافكار اخرى . ولكن الابطال المصلحين يقفون عند افكار معينة تسمو على افكار الشعب الذي يقومون بينه سموّاً محدوداً في اتجاهه وفي مقداره لا يضطرار المصلح ان يلائم الوسط الذي يظهر فيه ملائمة تسمح لسواد هذا الوسط ان يتبعه على طريق القياس ببعض ما عنده من الوحدات الايمانية التي افلتت من القيود القديمة وسمحت لها مقتضيات الاجتماع او اكرهتها ظروفه على التقدم بعض الشيء . لكن المفكر لا يقف عند فكرة معينة بل هو يتطلب دائماً نتائج هذه الفكرة ونتائج هذه النتائج وآثارها وارتباط النتائج والآثار بحياة الوجود العام وغير ذلك مما لا ينتهي وبما هو مثار الشكوك الدائمة . وكذلك تنقضي حياة المفكر في وسط خيالي لا يفهمه الناس ويتذوقه هو . ومحال ان يكون غير ذلك ما دام الفكر الانساني محدوداً والعالم غير محدود

وضع المفكر العظيم اوجست كونت فلسفته الوضعية وقضى في ترتيبها زهرة حياته . ولما

اكتمل صادفته مدام دفو فوصل من الاعجاب بها الى حد تقديسها . وهناك داخلته نفسه
نزعاً شعرياً فانتقل من فلسفته الى سياسته التقريرية آخذاً النتائج التي وصل اليها من
طريق الملاحظة والاستقراء ملبساً اياها نفسه ثم نافقاً لها في صيغة شعرية اشبه الاشياء
بالصيغة التي تأخذها كتب العقائد . هنالك حكم عليه انصاره انفسهم بأنه قضى مكفكر لان
النتائج العظيمة التي وصل اليها في فلسفته ليست خاتمة ما يمكن ان يصل اليه الملاحظ
والمستقرئ . ولذلك وقفوا في مناصرتهم عند الذي وصل اليه من فلسفته واستمروا في
الطريق الذي كان هو سائراً فيه . استمروا يفكرون

وهذا النوع من الحياة واقصد اذكاء الفكرة وجعلها تدفع الى فكرة اخري لا الى عمل
من اعمال الحياة بنفسه هذه الاعمال قيمتها في النفس . وذلك هو السبب في ضعف احساس
المفكر بالمسؤولية . فهو يترك الحياة المادية تسير كما تسير منقطعاً الى حياته العليا فتصبح
الاعمال عنده موضع ملاحظة ونظراً كأنها شيء آخر مستقل عنه فلا تستدعي منه اسفاً ولا
غبطة . ولكن الذي يستوقفه ويستدعي إعجابه او انقباضه هو الفكرة الجميلة او الفكرة المحرمة
يتضح مما تقدم ان اصحاب الشذوذ الفكري والمجانين العظماء والمفكرين هم شواذ في
الجمعية ولكنهم اثر من اثارها هم الملتقى الذي تصل عنده وحداتها الايمانية المتضاربة في
اغلب الاحيان تضارباً ان اتفق مع الحياة فهو لا يتفق مع التقدم . والتقدم والارتقاء هما
آثار التطور الذي هو احد القوانين الرئيسية لنظام الجمعية وخلودها . وعلى اعتبار هؤلاء
الاشخاص شواذ لازمين قطعاً لوجود الجمعية الانسانية من حيث هي الجمعية الانسانية في
صورتها غير المحدودة بالمكان والزمان والقائمة بين الازل والابد - على هذا الاعتبار مسموح لهم
الرأي السائد في كل العصور ان ينتهكوا حرمة ويجولوا تياره لان الرأي السائد يحثوني
جرثومة التطور والتقدم . وهذا هو ما جعل فكرة المسؤولية تنطبع في نفوس هؤلاء الافراد
على نحو مبهم اقرب لان يكون طابع المستقبل منه طابع الجمعية الحاضرة

وهؤلاء الافراد هم الذين اوتوا اجهزة وتيارات غير عادية وممحت لهم ظروف خاص
كالصدفة والوراثة ان بوجهها الخير الانسانية فوفقت احسن التوفيق وكانت نزعاتهم الفردية
حجر الاساس الذي شيدت فوقه المذنيات المتعاقبة

ولكننا اذا حولنا النظر الى الجهة المقابلة حيث ترفع النزعات الفردية اعلام الموت وترسل
نذر الخراب واخذنا نبرون الظالم مثلاً رأينا الفرد المجرد من معنى الاجتماع والعاش بنفسه
لنفسه . ورأينا الخرب الذي يندفع ليدفع قواعد الوجود ارضاءً لشهرته . رأينا هذا المستبد

الاحق محرقاً رومية ممسكاً بيديه فيشارته يوقع عليها قصيدة خرفاء جادت بها قريحته
 المجرمة . ولكن رومية عادت الى الحياة ومات هو وطمس على قصيدته في حفرة
 ولذلك يملو الاجتماع ويبقى ويموت الفرد الخارج على قوانينه تحت اقدامه
 نبرون هو المثل للمجرم في الانسانية . والمجرم شخص مجرد عن العواطف والاحساسات
 البشرية لا يحس بالألم ولا بالسعادة ويرى الوجود الذي امامه عدواً له لدوداً . وهو حيوان
 من غير النوع الانساني لانه غير مدني ولكنه البس صورة الناس ظاهراً . لهذا لم يكن
 لقواعد الحياة ووحدات ايمان الوجود ان تنطبع في نفسه الصلدة بل يبقى فؤاده جامداً
 ونفسه حيوانية لا تعرف من معنى الاجتماع شيئاً ولا تفهم من قوانين الطبيعة الا القانون
 العام الذي يحكم الموجودات الحية الى ادنا انواعها قانون استبقاء الحياة . ولما كان الكد
 والكدح اثرين من آثار التنافس الذي لا يكون الا بالاجتماع وكان المجرم غير مدني رأته
 يميل للكسل ويفضل الاغارة على امثاله بني آدم يخنطف اموالهم من يدهم كما يغير الأسد أو
 النمر على ما يجاوره ويأخذ الفريسة التي تلوح له

وجود نفس المجرم عن تلقي أي الاجتماع ينتج عنده ختماً جموداً امام الجزاء المقابل
 الذي تفرضه هاته الآي عقوبة لمن خرج عليها . لهذا لوحظ ان المجرمين المتأصلة
 جرثومة الاجرام في نفوسهم لا يعرفون معنى للتوبة ولا يفقهون معنى التكفير عن الخطيئة .
 كما انهم لا يشعرون في العقوبة بالم يردعهم عن العودة لما يستوجبها بل هم يرتكبون الجريمة
 بالهوادة والطمأنينة التي يجدها غيرهم في اي عمل عادي مشروع لأن الجريمة عمل عادي
 مشروع عندهم

لكن هذا النوع من المجرمين قليل وغير منتشر . والغالبية العظمى ممن يخرجون على
 النظام اشخاص تدفعهم ظروف خاصة توجه نزعاتهم الفردية وجهات غير موفقة فيرتكبون
 ما يخالف التعاليم التي انطبعت في نفوسهم والتي هي وحدات الوجود الايمانية . ومن هؤلاء
 تتركب طائفة المسؤولين الكبرى . فالمجرمون بالصدفة والمجرمون بالعادة والمجرمون بدافع
 الشهوة والمجرمون المتهمسون والمجرمون السياسيون وغير هؤلاء واولئك ممن سيرجع بنا
 الكلام اليهم عند بحث المسؤولية القانونية

ووجود هذا النوع من المسؤولين في الجمعية هو المقابل الطبيعي لوجود العظماء
 والمفكرين والمصلحين . فمادام الاجتماع الانساني في تطوره نحو الكمال يستخدم النزعات
 الفردية لاتمام ذلك التطور فستوفق بعض هذه النزعات للسير في الطريق السوي وستضل

أخرى ونخدر في مهاوي الجريمة . ولكن اصحاب النزعات الضالة يلقون دائماً جزاء ضلالتهم فتدوسهم الجمعية باقدامها وتمزقهم فوقهم غير مهتمة بهم ولا مكترثة لهم بل مستخدمة اباهم في احابين كثيرة لمساعدتها في التقدم الى الغرض الذي تسير اليه . ولم يستطع هؤلاء الضالون في عصر من العصور الماضية كلا ولن يستطيعوا في المستقبل ان يقفوا في وجه الجمعية لان الجمعية وجود طبيعي ازلي خالد . والافراد ذرات سريعة التحول والانقلاب . والجمعية كل والفرد ذرة متناهية في الصغر الى جانب ذلك الكل ومسيخة لخدمته

اذن فشان الفرد في الجمعية شأن مسمار في ماكنة عظيمة . فذلك المسمار يبقى سالماً مادام قائماً باداء الوظيفة التي وضع لها غير خارج على المجاورات التي حوله . لكنه يلقى جزاءً محتوماً ان هو وقف عن اداء وظيفته او خرج عن المكان الممد له . فانه يلقى قصماً آخر من الماكينة امن منه واقوى يصادفه في سيره فيكسر رأسه او يردّه رغماً عنه الى مكانه . بل ان شأن الفرد لاضعف من ذلك واحقر . لانا مهما تصورنا من عظمة هاته الماكينة ومن ضالة المسمار الى جانبها فلن نبلي في ذلك ما يقابل الجمعية والفرد

وقد احس الناس من ابعد الازمان بهذا الاحساس وفهموا تمام الفهم معنى الجزاء الذي تنزله بهم الجمعية حين خروجهم عليها . وبلغ من قوة احساسهم به أن خلطوا بين فكرة الجزاء وفكرة المسؤولية واحلوا الاولى محل الثانية . وترتب على هذا الخلط الفكري خلط آخر جرّ اليه التشابه اللغوي . فلما كانوا يرون الجزاء هو المقابل الطبيعي لعمل من الاعمال بعرض صاحبه لتسخط الجمعية وكان الجزاء لغة هو المقابل للعمل بالاوامر سواء كان هذا اجتماعياً او غير اجتماعي وسواء كان مضرراً بالجمعية ويستدعي مسؤولية فاعله او هو لا علاقة له بالجمعية مطلقاً وانما هو عمل يستحق المدح من فرد معين من الناس على خدمته وصلته من آخر - جعلوا هذه الاعمال غير الاجتماعية لما يقابلها في نظرهم من الجزاء داعية مسؤولية ولو في جانب ما يسمونه الخير . مع ان المسؤولية انما تكون عند الفرد على اثر انطباع وحدات الايمان المتعلقة بحياة الاجتماع في نفسه ومخالفة هذه الوحدات من بعض الاشخاص ولكن اذا كان هذا الخلط قد جر اليه الشبه اللغوي في استعمال كلمة الجزاء فان الذي مكن له في عالم الفكر ومد من حياته حتى نراه باقياً الى اليوم هو الابهام الذي كان حاصلاً في فهم الوحدات والقوانين اللازمة لحياة الاجتماع حتى رتبت بعض العصور اضعف اعمال الفرد في جهتي النافع والضار والخير والشر ترتيباً لا يسمح لنزعة فردية من النزعات التي هي اساس التطور الاجتماعي ان تقوى وتعمل عملها في الوجود . رتبها وحكمتها فكان الميدان

المسموح للفرد ان يتنفس فيه ضيقاً الى حد ان كاد يخنقه . فكان طعامه وشرابه وحركته ونوع كلامه بل اتجاه فكره كلها معتبرة من الوحدات الايمانية اللازمة لحياة الجمعية . ولكن التطور الذي حصل على متعاقب العصور حل بعض الشيء من هذه الدائرة وسمح للأفراد بدائرة اوسع يتحركون فيها حسب ما توحى اليهم به نزعاتهم وظروفهم الخاصة وان حكمتهم دائماً ظروف الوسط والزمان

وهذه الحرية التي سمح بها الاجتماع لأفراده على اعتبار انها لازمة للتطور وغير ضارة بحياته هي التي سمحت لفكرة المسؤولية ان ترجع بعض الشيء الى معناها الطبيعي الاول . ونعني احساس الفرد بمخالفة سنة الاجتماع مخالفة يغلب ان تجر عليه الجزاء المقابل لها . لكن فكرة الجزاء هي المقابل لفكرة المسؤولية وليست هي كما قرر بعض الكتاب والفلاسفة . فقد يأمن الرجل كل الامن وقوع الجزاء ولكن ذلك لا يمنع تحرك ضميره حسب ما تكون من قبل ما لم يكن مجرماً بالخلق ميت الاحساس بطبيعته . وان كثيرين من الاشخاص الذين يقدمون للقضاء فيبرؤن لعدم قيام ادلة كافية لادانتهم يبقون رغم فرحهم بالنجاة من العقاب تحت تأثير وخز الضمير زمناً غير قليل . بل قد يبلغ الحال من بعضهم ان يجزي بنفسه نفسه . ولولا نعمة النسيان تسمح للاكثرين منهم بشيء من الهدوء لما برحهم ألمهم . كما ان فكرة التكفير والتوبة ترجح نفوساً كثيرة قد تنوء لولاها بفكرة المسؤولية

بل كم رأينا من كبراء الرجال من ارتكب على علم اثماً اضرَّ بجمعيته ولكن ظروفًا خاصة جعلته يرتكبه وهو مطمئن ساعة ارتكابه لكن الماضي لم يلبث ان تكدر كلُّه وغلب الحاضر وقامت فكرة المسؤولية قاسية الية تعذب ضمير هذا الرجل اشد العذاب

واما ادخال عمل الخير تحت فكرة المسؤولية فذلك خطأ جرَّ اليه الخلط اللغوي وجرَّ اليه تاريخ فكرة المسؤولية ووطد اركانه ميل العقل الانساني الى فكرة المقارنة والمقابلة بين الازداد . والحقيقة ان فكرة الخير والاحسان والفضيلة هي افكار نسبية ابدعت في مختلف العصور للتعبير عن النزعات الفردية التي تسمى بالجنس في طريق تقدمه نحو الكمال . ولا يمكن ان تستثير الاعمال التي اطلقت عليها هذه الاسماء فكرة المسؤولية في النفس . ولكن التعاليم القديمة كانت تجعلها تستثير فكرة الجزاء عند الله ان لم يكن عند الناس فكان ذلك سبباً للخطأ الذي اشرنا اليه

محمد حسين هيكل المحامي

دكتور في الحقوق

ذكرى قاسم امين^(١)

ايها السادة

بهذا اليوم نتم السنة التاسعة على وفاة المرحوم قاسم بك امين وهو احد مؤسسي هذه الجامعة فله بها صلة اشد من صلة العضوية التي لنا جميعاً . هذه المناسبة كافية في الاحتفال بذكره في هذا المعهد . على ان لقاسم غير هذه الصفة صفة اخرى ادعى الى الاحتفال بذكره ودرسه في ارقى معهد علمي في مصر . هي انه احد كتابنا المجيدين الذين يحق لنا ان ندرسهم في كلية الآداب

لا ادري انصب السراقات في الشوارع وذبح الذبائح واطعام المساكين للاحتفال بذكرى اعيان الوفيات خير أم درسهم وتحليل ملكاتهم واخلاقهم ونقد اثارهم في زاوية بمزل عن الجمهور كما نفعل الآن . على الحاليين لكل عائلة ان تحفل بذكرى اعضائها الغائبين الى الابد بمقدار ما تسع طاقتها وعلى الوجه الذي يناسبها . ولقد كان قاسم احد آباء هذه العائلة العلمية التي انتم ابناؤها . وعقلاً من العقول الاولى لهذه البيئة التي انتم افرادها . لذلك حق عليكم ان تذكروه على نحو ما تذكرون آباءكم واخوتكم في النسب . لكل امرئ عائلة وعائلة المتعلم من حيث هو متعلم والمعلم من حيث هو معلم انما هي الجامعة التي ينتسب اليها . واقل ما يجب على الابن البار ان يذكر اياه وعلة وجوده . ونحن اعضاء الجامعة لا يسعنا من صنوف التكريم الاّ الدرس والنقد ولا يناسب اهل العلم الاّ سلوك مناهج القصد والفرار من الزخارف والابهة الباطلة

حسبنا بياناً لعله هذه المسامرة ومناسبتها لنخوض فيما تصديننا ليبحثه

لسنا في مقام رثاء او تأبين فذلك مقام قضيناه من قبل فلم يبق في النفس من آثار ألم المصيبة ما قد يعدل بها من حيث لا تشعر عن الانصاف الى التجيز . ولم يبق من قرب عهد العشرة ما يدعو الى المجاملة ولا من انتهاز الفرصة لاطراء المثل الحسن ما قد يقضي الى المبالغة في المذهب فقد خفف عنا الزمان هذه الحالات الوقتية كما هو شأنه . وما لنا بعد الاّ ان ننظر في آرائه النظر المجرد عن الغايات الوقتية

(١) محاضرة القاها حضره الباحث الاجتماعي احمد بك لطفي السيد على طلبة الجامعة المصرية في ٢٠

وانا على هذا كلما ذكرنا قاسماً ذكرنا مثلاً صالحاً واسوة حسنة لشباننا الذين يريدون ان يهذبوا انفسهم بالقيام عليها ليكونوا قوة عاملة ذات اثر في الجمعية الانسانية ويحصلوا تلك اللذة الكبرى التي حددها قاسم بقوله

« اللذة التي تجعل للحياة قيمة ليست حيازة الذهب ولاشرف النسب ولا علو المنصب ولا شيئاً من الاشياء التي يجري وراءها الناس عادة وانما هي ان يكون الانسان قوة عاملة ذات اثر خالد في العالم »

لقاسم صورة معنوية لعلها من اقرب الصور التي عرفناها للمثل الاعلى للرجل في هذه البلاد وفي هذا الزمان . ولكنها مع ذلك قد تمثل في بعض الاذهان مشوهة او ناقصة بعض الشيء . فمن الناس من يراه من جهة واحدة هي جهة جراته على عادات قوميه وبعض معتقداتهم . وهو لاء الناس الذين هالتهم صيغة الاصلاح الاجتماعي الذي عاناه وراوا فيها مساساً بالدين وبالاعادات وعبتاً بالشخصية المصرية بل بالمنفعة العائلية ذاتها اولئك هم اهل « ليس في الامكان ابداع مما كان » . وآخرون ينظرون الى قاسم نظرة اكثر احتواء للصورة يرونه ثمرة ناضجة من ثمار التعاليم الاوربية في الشرق و يقدرون ملكاته من حيث هو كاتب نقد يرم لكثير من كتابنا الاخرين ولم يلتفتوا الى جهة التفكير العميق فيه . واني احاول ان ألم في هذه المسامرة المأما بصورة منه نفسية اقرب الى ما اعتقده الحق معتمداً في ذلك على افكاره المكتوبة وآرائه المنشورة . خصوصاً مجموعة اقواله الموسومة « بالكلمات » لانها مذكرات كان يكتبها قاسم في كراسة جيب لم يعد لها بعد للنشر . ولقد كنت عنده يوماً فقرأ علي بعضاً منها وتركني افهم انه ربما نشرها ولكن بعد عهد بعيد فلما عاجلته المنية بعد ذلك بأسابيع حصلت عليها بواسطة صديقه حضرة صاحب المعالي سعد باشا زغلول وراجعتها انا والاستاذ عاطف بك بركات وطبعتها في الاسبوع الذي توفي فيه على ما اذكر . ولاشك في ان كراسة الجيب هي مستودع افكار المرء الخاصة وعبرة مشاعره العميقة فهي آكد في رسم صورة منه اقرب الى الحقيقة من كل ما يرتبه وينشره في حياته وبلا حظ فيه اعتبارات شتى عند النشر . وان كان قاسم هو في الواقع اشد اخلاصاً من ان يراي واعظم شجاعة من ان يداجي في آرائه

لا ادعي لقاسم انه كان فيلسوفاً في صف الفلاسفة اولي المذاهب العامة في حقائق الموجودات باعتبار ما هي عليه او ارباب الانماط الخاصة في درس المعارف الانسانية وربطها بعضها ببعض . ولكننا نعرف له انه مفكر عميق وكاتب مجيد

ليس من الصعب درس قاسم فانه لم يكن من الكتّاب القصصيين المكثرين مشتهر المقاصد والافكار في غرضون الروايات بل هو كاتب مقلّ يعرب عن مقاصده وآرائه لاعلى ألسن ابطال القصص بل مضافة الى ذاته . وليس مثل كثير من المفكرين الذين يجتهدون في اخفاء شخصيتهم ويعممون قولهم ومذاهبهم تعميماً . بل يظهر من عبارة بعض كلماته ومن اشارة بعضها انه كان يعنى جد العناية بدرس نفسه ثم يؤوب من هذا الدرس بنتيجة يسطرها غالباً على انها ملاحظة شخصية او حالة نفسية له و يلقبها احياناً على صورة عامة

كان قاسم ذا طبع جم الاستعداد للنموغ خصوصاً في مقومات الحممة والشجاعة وصفات الرفعة . جاءه ذلك بالضرورة بالانتقال الوراثي لان جده احد امراء الاكراد أخذ ابنه رهينة الى الاستانة وجيء به الى مصر فاستوطنها وبني باحدى عقائل عائلة خطاب فكان قاسم اكبر ولده منها . لم يرب قاسم على نحو ما يرى عليه اولاد الامراء او المكثرين في المال . بل ربي على الطريقة التي يربي بها واسط الناس وهي اقل انواع التربية عيوباً واقلها لاعناق المذاهب الديمقراطية والايمان بفائدة العلم واولاها بافادة الاعتماد على النفس . تعلم في مدارس الحكومة كغيره وأرسل في البعثة العلمية مع زملائه الى فرنسا فحصل على ليسانس في القانون وعاد الى مصر سنة ١٨٨٥ وتنقل في الوظائف القضائية حتى مات وهو مستشار في الاستئناف كما تعلمون . بذلك ترون ان حياته لم تكن عاصفية ولا ذات عقبات واحوال متعاكسة ولا شيئاً من ذلك مما كان شأنه ان عدل كثيراً من صفات الرجال اولى الاقدار في الحياة . ولكن قابليته الشريفة الارسطقراطية وتربيته على اصول الديمقراطية الفرنسية امتزجا تمام الامتزاج فالقاً صورة نفسية ذات ميول ارسطقراطية هذبها تربية ديمقراطية

يظهر ان هذا القران الموفق بين الميول الارسطقراطية وبين التربية الديمقراطية قد هذب من نفس قاسم وعقله ومشاعره بان خلص نفسه مما قد نسميه نقائص الشرف وحلّ عقله من قيود الوهم التي تقيد عقول طبقات الاشراف في كل زمان وفي كل مكان . وفتح لمشاعره ابواب الطرق العلمية لتعرف الخير والجمال سواء كان في الاعيان او في المعاني حتى لقد صار وهو قاضٍ يكره ان يحكم بالاعدام معها قامت ادلة الادانة في حين ان معنى امير كردي قلما يقتنن في الذهن الا بأنه سفاك غالباً . وصار يرى من الحسن العفو عن كل خطيئة وما كانت عزة الاشراف في كل زمان الا مقتبنة بحسب الانتقام

هذا القران الموفق طبع قاسماً على صفات وميول جعلت له شخصية ممتازة

من ذلك انه كان يجمع بين الحياء الشديد والجرأة المتناهية حتى كأنه كان معنيًا
يليل الاخيلية في توبة :

وتوبة احبي من فتاة حيمية واجراً من ليث بخفان خادر
نعم كان حيمياً الى حد ان فُسِرَ اطرافه في المجالس بأنه كبر فقيلاً له في كثرة السكون
والاطراق فقال « كلما هممت بالخوض في الحديث ورددت فكرتي في نفسي كثيراً
وجدتها لا تستحق ان تبدي فاعرضت عن الكلام » وفي ذلك من التواضع الحقيقي والبعد
عن الزهو والاعجاب ما لا يخفى . وهذا المعنى متفق مع حاله من معاناة التفكير في نفسه
وتعرفها ومتفق مع اقواله

ولا شك في ان تهذيب النفس وتعليمها بطريق ملاحظتها والغوص في اعماقها وتبيين
حقيقتها وميولها وآمالها — كل ذلك من شأنه ان يجعل بين المرء وبين نفسه انساً واتصالاً
يعيش في داخلها اكثر من عيشته في المضطرب الذي يحويه . وهذا ايضاً يفسر كثرة
اطرافه وشدة حياته

والواقع ان الحياء فضيلة عصماء لا تقع لامرئ الا بعد ان تجتمع له فضائل نفسه
الى جهة العلو والكرامة . لان الحياء على ما نظن مصدره في خوف المرء من السقوط امام
نفسه ومن ان يسقط قدره امام الناس

اما ضد الحي — فهو ذلك المكشوف الوجه الذي لا يخاف من السقوط ولا من مقارفة
الرديلة فهو خلو من الشجاعة وليس فيه ما يشبه الشجاع كما قيل الا اشتراكه واياه في معنى
عدم الخوف في الجملة . فان الشجاع يقدم على الخطر الحقيقي بمقدار ما ينبغي وحيثما ينبغي
فهو مقدم امام الخطر وجبان امام السفالات

واما ان قاسماً كان شجاعاً فذلك معلوم في حياته وفي كتاباته التي كان يجهها معظم
الناس من غير خوف وكأنما كان يعني نفسه اذ يقول :

« النفس الضعيفة تنحني للقوي وتتكش امام الظالم وتهاب كل صاحب سلطة وضدها
النفس القوية تجرد في اظهار جراتها على هؤلاء وامثالهم منفذاً يخرج منه ما يزيد عندها من
القوة عن حاجتها »

ويظهر ان الشجاعة الكردية التي هي احدى صفاته الجنسية قد تحولت بالتربية الى شجاعة
ادبية عديمة النظير . يتم عليها دائماً قوله واعماله في كل نوع من الاعمال التي زاووها حتى
الاعمال المالية التي لم يكن مضطرباً بها ولا مستعداً لها

من هذه الصفات ايضاً الشغف بالجميل فكان يعنى بتعرفه عناية شديدة مستمرة حتى أصبحت الفنون الجميلة له موضع لذة واحترام خاص . فلنسنا نعلم واحداً من طبقة قاسم احفل بتشجيع جنازة عبده الجمولي بصفته رئيس فن الغناء وقتئذٍ ولازم مأتمه الا هو . كذلك لم يشغل قاسماً ما هو فيه من ولاية القضاء ولا من التفكير والتأليف عن العناية بسماع الغناء وتعرف الجميل في الرسم والتصوير ومناظر الطبيعة الخ
وكان يظن ان اكبر الاسباب في انحطاط الامة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة اذ يقول :

« لعل اكبر الاسباب في انحطاط الامة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة والتمثيل والتصوير والموسيقى هذه الفنون ترمي جميعها على اختلاف موضوعها الى غاية واحدة هي تربية النفس على حب الجمال والكمال فاهلها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور »
اخذ قاسم نفسه بتعرف الجميل فتهذبت عنده ملكة الذوق وصفت الى حد انه قال :
« من اعظم ما يصاب به المرء ان يحرم من الذوق السليم »
لهذا النظر جعل انتقاده وارداً على سوء الذوق او جموده في كثير من كلماته حتى فيما يتعلق بفتاة شارع الدواوين التي بعد ان وصفها قال عنها
« انها كانت ترسل الى المارة نظرات دعابة ورخاوة وحنان واستسلام وبالاجمال كان مجموعها تحر ايضاً مهيجاً لحواسهم »

لئن كانت شريعة من الشرائع او نوع من الاداب يبيع للمرأة الجميلة ان تخرج من دارها ولا قصد لها الا فتنة الناس فلا اقل من مراعاة حسن الذوق في مشيتها والاحتشام في نظراتها فان جمالها سيدل على نفسه من غير حاجة الى دلال

بهذا كله ترون ان قاسماً كان يحى حياة مستوفية قسطها من العظم والانتشار . عقل راجح بعيد مدى الادراك وشعور رقيق يهتز لدقائق الموارث وذوق مصفى يعيش منه في سعادة الذين يعرفون الجمال ويتذوقون طعمه . غير محروم مع ذلك كله من الشهوات بل يظهر من خلال سطورهِ انه كان كما يقولون « لكبار الرجال كباثر الشهوات » فان الذي يعلم ان قاسماً كان يعنى بتهذيب نفسه ويحاسبها الحساب الشديد ثم يقرأ كلماته الآتية -
« الفضيلة والرذيلة يتنازعان السلطة على نفس الانسان في جميع ادوار حياته فتارة تخضع الاولى وتارة تغلب عليها الثانية ولا يوجد رجل مهما بلغ من التربية والعلم يكون آمناً

من السقوط يوماً في الرذيلة كما لا يوجد رجل معها احاطت به الرذيلة الا وفيه استعداد لان يأتي يوماً بافضل الاعمال

« وحقيقة الامر ان اخلاق الانسان ليست شيئاً يتم دفعة واحدة وليس لها حد نقف عنده انما هي في تجليل وتركيب في تكون مستمر يعترها الانحلال زمناً ونعود بعده الى التماسك » وقرأ ايضاً هذه الكلمات :

« الانسان اسير الشهوات ما دام حياً وانما تختلف شهواته باختلاف سنه فشهوة اللعب عند الطفل وشهوة الحب عند الشاب وشهوة الطمع عند رجل الاربعين وشهوة السلطة عند شيخ الستين جميعها شهوات تعرض صاحبها للهفوات واقتراف الخطايا متى وقع فيها احدنا يجب عليه ان لا يترك نفسه الى تصرفها ولا يستصعب الخلاص منها ولا يأس من نفسه بل عليه ان يقاومها كما يقاوم المريض علته عليه ان يوجه ارادته الى مصارعها والتغلب عليها عليه ان يحول فكره عن الالمس الذي كان فيه قبيحاً وينظر الى غده الذي يكون فيه جميلاً لا يطلب الكمال من المرء وانما يطلب منه ان يكون في كل يوم احسن منه في اليوم الذي مضى . في ميدان الحرب لا يكون ثبات الجأش الا عند الرجل الذي حضر وقائع سابقة ووقف امام العدو وقاتل يوماً مهاجماً ويوماً مدافعاً . كذلك الحال في جهاد النفس لا تجد ثبات الجنان الا عند الرجل الذي عرض نفسه الى استهواء الشهوات وخدائع اللذات فاذا اخبرها بالتجربة وتغلب عليها بعد ذلك كسب قوة الحكم على نفسه التي هي الفضيلة الحقيقية خلافاً للرجل الذي احتجب عن جواذب الشهوات فانه متى وجد امام فرص مرغبة فيها لا يقاوم سلطانها الا قليلاً واذا سلم في نفسه مرة لا يستطيع الخلاص منها »

ان من يقرأ هذه الكلمات واشباهها لقاسم يحكم بانه كان بينه وبين نفسه حرب مستمرة يغالبها وتغالبه شأن الحكيم الذي يريد ان يبلغ الادب السامي اخذاً باسبابه كثيراً ما شاهدت من شباننا على اثر عودتهم من الدراسة في اوربا قلقاً او نوماً من الحزن تبين اثاره على هيأتهم واقوالهم واعمالهم وما شككت في ان هذا الحزن انما هو نتيجة المقارنة بين حال البيئات التي كانوا يعيشون فيها هنالك وبين البيئة التي تحوهم . كذلك قاسم ما اظنه نجح من هذه الحال بل اعترته على نوع اشد مناسب لمقدار اطاعه الواسعة ومداركه القوية ومشاعره الرقيقة . وربما استحال هذه الحال بمساعدة ما به من الوفاق الجنسي الى ملكة ينم عليها سكونه واطراقه ويفسرها كثير من كلماته الى حد يجعل المرء يراه متطيراً اكثر منه متفائلاً

مستقبل الشرق الادنى

يظن البعض ان الشرقيين عاجزون عن ادارة امورهم بأيديهم لانهم يرون ما في بلادهم المختلفة من الضعف والوهن وتضعف القوى . ولكننا اذا بحثنا في تاريخهم القديم وجدنا ان هذا الضعف طارئ عليهم وانهم لم يكونوا كذلك في غابر الازمان . واذا قسناهم بغيرهم من ام الارض وعلمنا ان الاسباب المتشابهة تنتج نتائج متشابهة ترجح لنا انه لا يتعذر عليهم ان يلوا شعهم ويستردوا مجدهم السابق . فان الامم التي نجسها الآن متسنة غارب المجد وراقية ذرى الفلاح لم تكن كذلك منذ بضع مئات من السنين . فامة اليابان مثلاً لم تكن ارقى من مجاورها سكان الهند والصين منذ مئة سنة وهي الآن مثل ام اوربا العظمى . ودول اوربا لم يكن لها شأن كبير منذ الف سنة وهي الآن في اوج مجدها

بينما كنا نكفر في هذه الامور وفيما قد يأول اليه حال بلاد الشام بعد هذه الحرب وقع نظرنا على ترجمة انكليزية لكتاب ارسطوطاليس في السياسة او الحكومة فتناولناها وفتحناها . ومن غريب الاتفاق ان الفصل الذي فُتح امامنا كان الفصل العاشر من الكتاب الثاني وفيه وصف مجمل لحكومة قرطاجنة المستعمرة السورية في شمال افريقية على ما كانت عليه في عهد ارسطوطاليس

والمعروف من تاريخ قرطاجنة انها مستعمرة من مستعمرات السوربين او الفينيقيين سكان صور وصيدا وبيروت وسائر السواحل السورية انشأوها منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة وعظمت مدينتها قرطاجنة حتى بلغ عدد سكانها مليون نفس اي اكثر من سكان القاهرة الآن واكثر من سكان اية مدينة كانت في اوربا ما عدا بعض العواصم ككندن وباريس . واغنت بصنائعها ومتاجرها واستولت على جانب من اوربا وناظرت ممالك اليونان والرومان ودامت الحرب بينها وبين رومية نهجاً لآسنين كثيرة ولم تغلب رومية عليها الا بعد عناء كثير . وقد وصف ارسطوطاليس حكومتها التي كان لها اليد الطولى في ترقيتها بعد ان وصف حكومة كريت وحكومة اسبرطة فقال : —

« يظهر ان حكومة قرطاجنة قائمة على دعائم ثابتة وهي من وجوه كثيرة ارقى من غيرها فانها تشبه حكومة اسبرطة في بعض الامور . بل ان هذه الممالك الثلاث كريت واسبرطة وقرطاجنة متشابهة كثيراً في بعض الامور ومختلفة كثيراً في غيرها . ومن ام الامور التي تمتاز بها ان الشعب يشارك حكامه ومع ذلك لا يضطر ان يخرج عليهم ولا هم يخطون الى

استعمال الجور والظلمة . فما يشارك القرطاجنيون فيه الاسبرطيون ان الذين تربطهم روابط الصداقة يجلسون حول موائد واحدة . وللقرطاجنيين مجلس شورى مثل مجلس الاسبرطيون فيه مئة نائب واربعة وهم منتخبون على اسلوب احكم من اسلوب الانتخاب في اسبرطة لان كل واحد من سكان اسبرطة يحق له ان ينتخب لمجلس الشورى مهما كان شأنه واما في قرطاجنة فالاعضاء ينتخبون من خاصة الشعب . والمملكستان متشابهتان من حيث الملوكة ومشيرهم ولكن طريقة قرطاجنة اصلح من طريقة اسبرطة لانها تنتخب ملوكها انتخاباً ولا تنقيد بانتخابهم من امرة واحدة ولا تراعي السن في انتخابهم بل تفضل من يعاونه على فضل غيره ولو كان الاول اصغر سناً من الثاني لان سلطة الملك واسعة فاذا لم يكن على جانب كبير من الفضل والصلاح فقد يضر ضرراً كبيراً كما حدث في اسبرطة مراراً « والمبادئ التي بنى الاسبرطيون دعائم حكومتهم عليها مؤلفين اياها من الارسطقراطية والديمقراطية (اي حكومة السراة وحكومة العوام) بعضها يميل الى الحكومة الديمقراطية وبعضها الى الحكومة الاوليفركية (اي التي يتولاها خاصة الامة او اغنيائها) فاذا اتفق رأي الملك مع رأي مشيريه كلهم في امر من الامور بعد بحثه فلهم ان يعرضوه على الجمعية العمومية او بقروه ولا يعرضوه عليها . ولكن اذا اختلف الملك ومجلس الشورى وجب عليهم ان يعرضوا الامر على الجمعية العمومية وهي تسمع ما يقوله الفريقان وتحكم فيه ولكل واحد من اعضائها ان يبدي رأيه . وعندهم خمسة مشيرين واسعو السلطة ينتخب بعضهم بعضاً وينتخبون هم اعضاء مجلس الشورى ويرأسونه وهؤلاء الخمسة من اعلى طبقات الشعب واغناها وهم يخدمون بلادهم مجاناً من غير اجر ولذلك جعلت الحكومة تميل الى الاوليفركية اي الحكومة التي يتولاها خاصة الاغنياء وصار هؤلاء المشيرون يؤيدون السراة او الحكومة الارسطقراطية بناءً على رأي شاع وتسلط على النفوس وهو ان الحاكم لا يكفي ان يكون صاحب جاه بل يجب ان يكون صاحب ثروة واسعة ايضاً لانه يستعمل على من لم يكن صاحب ثروة ان يقوم بما يستدعيه سمو منصبه او ان يتفرغ لخدمة بلاده « ولما كان اختيار الحكام من اهل الثروة بمثابة جعل الحكومة اوليفركية واختيارهم من اهل الجاه بمثابة جعلها ارسطقراطية فاخترت قرطاجنة اسلوباً جامعاً بين هذين الطرفين وعليه تجري بنوع خاص في انتخاب الرجال لاعلى المناصب اي منصب الملك ومناصب قواد الجيش ولكن اذا انتخب هؤلاء من اناس ذوي ثروة ولا فضل لهم انحط شأن المملكة لانها تصير تفضل الفنى على الفضل و يصير حب المال خطة غالبية في المدينة لأن ما يجترمه اصحاب

المناصب العالية لا يعتد ان يصير قبلة السكان بنوع عام والغرض الذي يرمون اليه . وحيث لا ينعن الاحترام الاعظم بالفضيلة لا تفلح حكومة الفضلاء لاسيما وان الاغنياء الذين يحرزون مناصبهم بالمال يحاولون ان يستفيدوا منها . واذا حمل الفقر من كان فاضلاً وحيثما على الاكتساب بطرق غير محملة فلا يؤخذ ذلك دليلاً على ان المحروم من الفضل لا يحاول الاكتساب بتلك الطرق ولا سيما اذا اراد ان يسترد ما انفق على احراز المنصب . ولذلك يجب ان يكون الحكام من الذين يستطيعون ان يحفظوا مقامهم ولا يحقره . وكان الاولى بالذين وضعوا نظام قرطاجنة ان يعينوا الاجور الكافية للاكفاء الذين يتولون المناصب العالية لكي يفرغوا للخدمة بلادهم

« ولا يحسن بالمرء ان يتولّى مناصب كثيرة في وقت واحد كما هي الحال في قرطاجنة لان من يقتصر على عمل واحد يحسنه اكثر ممن يعمل معه غيره . وهذا ظاهر في الجيش كما هو ظاهر في البحرية حيث تجد الشخص الواحد امراً او مأموراً في وقت واحد . ولما كانت حكومة قرطاجنة مائلة الى الاوليغركية تراها تتزلف الى اهل الوجاهة وتعينهم حكاماً للمدن لكي يجمعوا منها ثروة فيمكّنوا هذا العيب في حكومتهم . واللوم الاكبر على واضع نظام هذه المملكة فانه كان يجب عليه ان لا يبتغي سبيلاً للشكوى والخروج على الحكومة اما الآن فاذا المّت بالبلاد ملّة فلا يبعد ان يثور الشعب ويعصي اوامر حكامه ولا يجد الحكام من قوانين البلاد ما يردعونهم به عن العصيان

« هذا ما يستحق الذكر من مزايا حكومة اسبرطة وحكومة كريت وحكومة قرطاجنة » انتهى كلام ارسطو باختصار قليل . وظاهر منه انه يفضل نظام الحكومة في قرطاجنة على نظامها في كريت وفي اسبرطة مع ان هاتين المملكتين اي كريت واسبرطة كانتا ارقى ممالك الاوربيين في ذلك العصر . وعليه فالفينيقيون الذين استعمروا قرطاجنة وضعوا لها نظاماً كفّل لها النجاح والتفوق اكثر من سبعمائة سنة عدا ما قامت عليه الادلة التاريخية من تفوق الفينيقيين في بلادهم الاصلية سواحل سورية . انظر ما قاله فيهم حزقيال النبي نحو سنة ٥٨٨ قبل المسيح واصفاً غنى صور واتساع متاجرها قال : « ابنتها الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب الى جزائر كثيرة هكذا قال السيد الرب يا صور انت قلت انا كاملة الجمال . تخومك في قلب البحور بناؤوك تمّموا جمالك عملوا كل الواحك من سرو سنير اخذوا ارزاً من لبنان يصنعوا لك سوارى صنعوا من بلوط باشان مجاذيفك صنعوا مقاعدك من عاج مطعم في البقس من جزائر كثير من مطرّز

من مصر هو شراعتك ليكون لك راية الاسمانجوني والارجوان من جزائر البشة كانا
 غطاءك . اهل صيدون وارواد كانوا ملاحيك . حكاؤك يا صور الذين كانوا فيك هم
 رباينك شيوخ وبيل وحكاؤها كانوا فيك فلاؤك . جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك
 ليتاجرا بتجارتك ترشيش تاجرتك بالفضة والحديد والقصدير والرصاص . ياوان وتوبال
 وماشك هم تجارك بنفوس الناس وبآنية النحاس اقاموا تجارتك ومن بيت توجرمة بالخيل
 والفرسان والبغال اقاموا اسواقك . بنوا ددان تجارك جزائر كثيرة تجار يدك . ادوا هديتك قرونا
 من العاج والابنوس ارام تاجرتك بكثرة صنائعك تاجروا في اسواقك بالبهرمان والارجوان
 والمطرز والبوص والمرجان والياقوت . يهوذا وارض اسرائيل هم تجارك تاجروا في سوقك
 بمخطة وحلاوى وعسل وزيت ولسان . دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غني
 بخمر حليون والصوف الابيض . ودان وياوان قدموا غزلاً في اسواقك . حديد مشغول
 وسليخة وقصب الذريرة كانت في سوقك . ددان تاجرتك بطنافس للركوب . العرب وكل
 رؤساء قيدار هم تجار يدك بالغرفان والكباش والاعتدة . تجار شبا ورعمة هم تجارك
 بانخر كل انواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب اقاموا اسواقك . حران وكنة وعدن تجار
 شبا واشور وكلد تجارك . هؤلاء تجارك باردية اسمانجوتية ومطرزة واصونة مبرم معكوبة
 بالحبال مصنوعة من الارز بين بضائعك . سفن ترشيش قوافلك لتجارتك فامتلات
 وتمجدت جدّاً في قلب البحار . ملاؤك قد اتوا بك الى مياهم كثيرة . كسرتك الريح
 الشرقية في قلب البحار . ثروتك واسواقك وبضائعك وملاؤك ورباينك وقلاؤك
 والمتاجرون بتجارك وجميع رجال حربك الذين فيك وكل جمعك الذي في وسطك
 يسقطون في قلب البحار في يوم سقوطك .

الامة التي استطاعت ان تنشي مثل صور وصيدا وقرطاجنة في غابر الازمان وتحكم نفسها
 بنفسها على اسلوب استحق اعجاب ارسطوطاليس كبير الفلاسفة السياسيين وامتدت تجارتها
 الى اقاصي البلدان الى الهند والصين شرقاً الى اسبانيا وبلاد الانكليز غرباً وشمالاً ودارت
 سفنها حول افريقية واستخرج رجالها الذهب من مناج الترنسفال والنحاس من مناج اسبانيا
 والقصدير من مناج انكلترا وحاربت رومية سنين عديدة — الا يحتمل ان يستطيع ابناءؤها
 الآن الاستقلال بادارة امورهم اذا شاؤوا ولم يتعرض لهم من يقاومهم قبل ان يشتد ساعد

مصر منذ اربعائة سنة

(٦)

السلطنة المصرية

البلاد المصرية وحدودها وحصونها

قال تنود سنة ١٥١٢ « يحد السلطنة المصرية شمالاً البحر المتوسط وشرقاً البحر الاحمر وغرباً صحراء ليبيا وجنوباً بلاد النوبة والشلالات . وتغورها في هذه البحار الاسكندرية وابو قير ورشيد ودمياط والسويس والقصير وسواكن . واما البلاد النابعة لها فهي البلاد العربية المتصلة بيرة سيناء وفلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين الى مجرى الفرات ودجلة حتى حدود فارس »

وقال تفنوت سنة ١٦٣٠ « يحد الباشوية المصرية شرقاً البحر الاحمر وصحراء العربية وجنوباً مملكة الليجة والنوبة وغرباً صحراء ليبيا وشمالاً البحر المتوسط وليس فيها قلاع وحصون الا في الاسكندرية وابي قير »

وقال وانسليب سنة ١٦٧٠ « وبعض المؤلفين يضعون مصر بين قارتي اسيا وافريقية ونهر النيل الفاصل بينها وحدودها الجنوبية بلاد النوبة وهي تابعة لحاكم جرجا المستقل عن الباشوية المصرية في الاحكام وانما يدفع قسطه من الخراج السلطاني . وحدودها الغربية صحراء ليبيا حتى بلاد برقة والقيروان »

وقال سيزار لامبرت سنة ١٦٢٧ « في الاسكندرية اربع قلاع حولها الحصون والاستحكامات ثلاث منها تحمي المرفأ وهي تحت امرة اغا ومعه سوباش وثلاثمائة رجل من الحراس والجنود والمدفعية ومرتباتهم من ايرادات الجمر . وفي ابي قير قلعة لحماية الثغور يحميها ثلاثون نفرأ وفي رشيد قلعتان متقابلتان في الميناء يحميها مائة وخمسون جندياً ومرتباتهم من ايرادات جمر الاسكندرية . وفي البرلس قلعة يقوم بحمايتها ثلاثون رجلاً ومرتباتهم من ايرادات الاسماك . وفي دمياط قلعة في حراسة اغا وثلاثين جندياً ومرتباتهم من جمرها وتبلغ نفقات هذه القلاع سنوياً عشرين الف غرش ديواني (٦٠ الف فرنك) » وفي طريق الحجاج بين مصر ومكة حصن في صحراء سيناء عند جبل الطور تحت حراسة اغا وثلاثين جندياً وهذا الحصن قديم جداً وداخله كنيسة للاروام يقولون ان قد دفنت فيها عظام القديسة مارينا

« واما معامل الاسلحة والبارود ففي الاسكندرية والقلعة بمصر والسويس . وفي القبة حصن يحرسه ثمانون جندياً وكذلك في قطية . ونفقات هذين الحصنين ومرتبات جنودهما ترسل من مصر كل ثلاثة اشهر مرة »

الجيش المصرية

قال تنود سنة ١٥١٢ « يقيم الباشا نائب السلطان بالقلعة وعنده ستة آلاف مملوك وفرق الجنود الانكشارية والمتفرقة والعزبية وغيرهم لحماية البلاد ولهم مرتبات مفروضة على المقاطعات المصرية »

وقال سيزار لامبرت سنة ١٦٢٧ « يقيم الباشا في القلعة وفيها استحكامات وسبعة ابواب حصينة بعضها داخل بعض . ومن الاهمال ان ليس حولها خنادق وجسور . واما قوات البلاد فمحصورة في وجاقات الانكشارية وسناجق السباهية والجاوشية والعزبية ولهم السلطة المطلقة في الاحكام والسوابشية وفي ايديهم الاحكام الجنائية »

وقال تفنوت سنة ١٦٣٠ « يحكم مصر بعد الباشا اربعة وعشرون سنجقاً من البكاوات الكبار وهم حكام المقاطعات واربعون من البكاوات الجركس وهم مسؤولون عن حراسة البلاد وحفظ الامن ومرتب كل سنجق كيمس الا انه يبذل مائة الف غرش للحصول على هذه الوظيفة واكثر هؤلاء السناجق من المالك الذين جلبوا اسرى من بلاد الجركس وجورجيا والمجر والروم . ولبعض السناجق في البلاد خمسة او عشرة آلاف من قبائل العربان لتأيد سلطتهم وهؤلاء البكاوات او السناجق متفرقون في المقاطعات وفي كل من مصر القديمة وبولاق والمطرية سنجق مستقل . وفي القاهرة من الاجناد اثنا عشر الفا لحفظ الامن وهم تحت سلطة الباشا منهم ستة آلاف في القاهرة والباقيون في ضواحيها وتبلغ عدد القوات والاجناد في كل البلاد المصرية نحواً من ٣٥٠ الفا تحت قيادة الاغا الاكبر (جنرال) ونائبه الكيخيا (ادجوتانت جنرال) والجاويش الاكبر (كابتن) والكجك جاويش والباشجاويش والجوريجي والاوزاباشي (اسماء رتب الضباط) واما حفظ الحدود الشرقية فموكل الى قبائل العربان في سيناء وكذلك في الحدود الغربية والجنوبية »

وقال ماليت فنصل جنرال فرنسا سنة ١٦٨٠ :

« والحكومة المصرية تحت سلطة الباشا نائب السلطان ولا يبق في وظيفته عادة اكثر من سنتين ان لم يعزل قبل ذلك من وجاقات الانكشارية والمتفرقة . ونادراً يلبث في

مصر ثلاث سنين ولا ينال الباشا هذا المنصب الا اذا كان مقرباً لدى السلطان او اذا دفع لل خزينة في استانبول وللوزراء مالا طائلاً لا يقل عن اربعمائة او خمسمائة الف ريال عدا ما يدفعه لل خزينة السلطانية من الخراج السنوي وقدره ستمائة الف ريال او (١٢٠٠ كيس) وعدا الهدايا الكثيرة التي تقدم الى المقربين عند السلطان . ويقدم ايضا الى السراي السلطانية في كل سنة ما تحتاج اليه من البن اليمني والسكر والافاويه التي ترد من الهند

« ويرأس الباشا الديوان الاكبر في الاسبوع مرتين في قاعة المشورة وهذا الديوان مؤلف من كبراء الامراء والعلماء والقضاة للنظر في الشؤون الهامة وحفظ البلاد ومخابرات السلطنة ويأتي كل امير الى القلعة مصحوباً بعدد كبير من اتباعه المماليك وتري ساحة الديوان الكبرى غاصة بالفرسان راكبي الجياد العربية ومسروجهها مرصعة بالذهب والفضة والحجارة الكريمة . واجهة الامراء ونفختهم وعظمتهم ترى عند انعقاد الديوان . ولست مبالغاً اذا قلت ان ديوان الباشا بمصر ليس باقل ابهة ومهابة ونفامة من ديوان استانبول . ويعقد هذا الديوان في الشهر مرة ويتألف من رؤساء الوجاقات والامراء والاغاوات وقاضي عسكر والوزراء والعلماء . وقد حضرت مرة جلسة هذا الديوان دعيت لأسأل عن شكاوي بعض التجار الافرنج صودرت بضائعهم في جمرك الاسكندرية فشكوا الدار السلطنة بواسطة السفير فصدرت الاوامر الى الباشا بتحقيق هذه الشكاوي ورأيت في ساحة الديوان نحو اربعة آلاف فارس من اتباع الامراء والمماليك ورؤساء الاجناد والوجاقات . وقد اتى احدهم في هذه الجلسة كلاماً جارحاً شديداً ضد الافرنج وسمعت حينئذ صلصلة سيوف الاجناد الحراس فلهلج التجار الافرنج الشاكون خوفاً وارتعدت فرائضهم الا ان بعض العقلاء من العلماء والاشراف من السادات والبكرية اخمدوا هذه الحركة العدوانية

« واما القوات الجنديّة في باشاوية مصر فمؤلفة من سبعة وجاقات او الميالييس اولهم وجاق المتفرقة وهذا الوجاق اعظم واوسع سلطة من غيره وكلهم من الفرسان وعددهم يربو على خمسة آلاف فارس وقسم منهم خاص بحرس الباشا . وكثيرون من التجار الافرنج يدخلون في حماية امراء هذا الوجاق . ثانياً وجاق الاصفية وكلهم من الجنود المشاة وعددهم نحو اربعة آلاف . ويليهم وجاق السباهية وعددهم نحو اربعة آلاف وكلهم من الفرسان وبينهم وبين الانكشارية عداً شديداً وخصام دائماً . ثم وجاق الجاوشية وهم جنود مشاة لا يزيد

عدد في مصر عن الف نفس . واما وجاق الانكشارية فاكثر الوجاقات قوة وعدداً واعظمها سلطة ولزوسايتها سلطة واسعة . وهم يعزلون الباشا متى تقموا عليه وينصبون غيره مكانه . ورئيس الانكشارية الذي هو لكيخا الوجاق قائد عام (جنرال) على كل اجناد مصر وله الحق ان يحضر جلسة الديوان الاعلى

« وتُدفع مرتبات الوجاقات من الخزينة كل ثلاثة اشهر مرة ومرتب كل جندي في اليوم ثلاثة فلوس و يبلغ مرتب الضباط من خمسين الى مائة فلس في اليوم . واما الفرسان فمرتباتهم اكثر من ذلك ولكل منهم مقدار معين من العلف لجواده »

وقال بنيوس سنة ١٧٧٦ « ولاغا الوجاق الكبير سلطة واسعة على الاهالي ايضا وهو بمثابة رئيس البوليس عندنا . رأيتُه مرة ماراً في شوارع القاهرة للمحافظة على الامن يتقدمه مثنى فارس وجمع من الحرس المشاة وكلهم مدججون بالاسلحة والعصي والنباييت والكرابيج . وفي فم هذا الرجل القضاة بالحياة او بالموت على كل مصري . فاذا رأى في طريقه امراً مخالفاً من شخص ما مهما كانت منزلته يأمر في الحال بقطع رأسه او بضربه وينفذ الحكم في وسط الشارع على مرأى من الناس . ولذلك ترى الجنايات في مصر نادرة جداً واذا حدثت جنابة خفية في مكان ما من سرقة او قتل يضطر اهالي الحي اما ان يظهر او القاتل او السارق او ان يدفعوا دية القتل وقيمة المسروق »

وقال مارسل سنة ١٧٩٢ « ولبعض الباشاوات في مصر حماية من سفراء فرنسا في استانبول يعضدونهم ويثبتونهم في ولايتهم . ولما استولى السلطان سليم الاول على مصر اقام نائباً عنه يحكم البلاد بسلطة واسعة وبرأس الديوان الاعلى المؤلف من اربعة وعشرين اميراً كبيراً وهم حكام المقاطعات المصرية وثمانية واربعين « بيكاً » اميراً صغيراً . والاولون كانوا يعينون بارادة سلطانية

« ومن امراء البلاد والكيخيات رؤساء الوجاقات والدفتردار والروزنامجي وقاضي القضاة والمفتي واربعة من العلماء رؤساء المذاهب الاربعة وامير الخزنة

« وهذا الديوان يجتمع في ايام محدودة من السنة للنظر في المسائل المهمة وتقرير العلاقات الهامة بين استانبول ومصر واما الديوان الاصغر فيجتمع في الاسبوع مرتين تحت رئاسة قاضي العسكر للفصل في الاحكام الجنائية والمدنية . واما الوجاقات التي قررها السلطان سليم بمصر فهي ستة ثم اضيف اليها بعده وجاق سابع وهو وجاق

الجر كس . وعدد رجال هذه الوجاقات كلها يبلغ نحو خمسة وعشرين الف نفس بين مشاة وفرسان»

المقاطعات المصرية والكاشفيات

لخص ما يلي عن ماليت سنة ١٦٨٥ وغيره :

الثغور المصرية هي الاسكندرية ورشيد وابو قير ودمياط والسويس والقصر وسواكن وحكام هذه الثغور يعينهم الباشا نائب السلطان بمصر عدا حاكم سواكن فانه يعين من السلطان رأساً ويرسل من استانبول لانه يحافظ على الحدود بين البلاد المصرية والحبشة وقال جاك البرت سنة ١٦٢٧ :

« ونقسم مصر الى اثنتي عشر مقاطعة او كاشفية يحكم كلاً منها كاشف يعين من قبل الباشا ومعه بعض قوات من جنود الوجاقات والملتزمين والمحاسبين والشوابصية » فالمقاطعة الاولى هي جرجا او ولاية الصعيد وحاكمها بلقب بصاحب الصعيد وهو مستقل في الاحكام والادارة عن حكومة مصر ويعين من الباشا بقرار من دار السلطنة ويشترك في دفع الخراج المعين على البلاد المصرية وعنده ديوان مخصوص للاحكام والادارة تؤيده قوة كبيرة من قبائل العربان وبعض الجنود من وقاجات المتفرقة والسباهية والنفكجية والانكشارية . وعنده ديوان للكتابة وآخر للخزينة وجمع الخراج ونفقات هذه الكاشفية من خزينة الحاكم وله سلطة واسعة في الاحكام يعاقب بالسجن والقتل ويجمع الاموال بدون استشارة ديوان مصر

« وعلى حاكم الصعيد ان يرسل الى باشا مصر في كل سنة هدية الزامية مؤلفة من اربعين كيساً وخمسين جواداً وخمسين بغلاً ومائة جمل والف خروف . ويرسل ايضاً الى كينجيا مصر واغاوات الوجاقات اثني عشر كيساً . واما القسط المفروض على صاحب الصعيد من خراج السلطنة فمائة وخمسون الف اردب قمح تنقل على نفقته من جرجا الى شون الخزينة في مصر القديمة واربعائة وثمانون كيساً من الذهب المضروب هذا عدا المفروض على هذه المقاطعة من القمح للحرمين . وحدود جرجا من الصعيد الاعلى الى منفوط

« والمقاطعة الثانية كاشفية منفوط وعدد بلادها ٢١٧ والكاشف او حاكم هذا القسم يدفع الى الباشا في كل سنة ثلاثين كيساً والى كينجيا والاغاوات رؤساء الوجاقات خمسة

اكياس . وقسط هذه الكاشفية من الخراج السلطاني مائة الف اردب قح وخمسة واربعون كيساً مضروبة والاراضي تعطى للمتزمين (المستأجرين) والشو باصية لتحصيل خراجها من الفلاحين ولحاكم الخيار ان يبقي الالتزام على حسابهِ الخاص . وفي ديوان مصر دفاتر وسجلات في بيان البلاد المصرية واراضيها ومقدار خراجها السنوي من مال وغلال . وهذا الخراج يدفع على اربعة اقساط . واما عدد الجنود والحراس في كاشفية منفلو ط فثلاثون جندياً يدفع الكاشف مرتباتهم وعلف خيلهم الا انهم لا يكتفون بعلائقهم فيرهقون الفلاحين ظلاماً ويحملونهم مغارم كثيرة . وفي وقت الفيضان يخرج الكاشف وينصب خيامه على شاطئ النيل خلفارة الجسور فان وصل مقياس الماء الى ٢٢ ذراعاً يبشر بالخصب وان نقص عن ذلك يجمع الفلاحين ويرغمهم ان يرووا الاراضي بواسطة الآلات والنواعير . وما قلناه عن هذه الكاشفية يطلق ايضاً على باقي الكاشفيات وهي اوسع واكبر من المقاطعات التي بعدها عدا جرجا . وحدودها تمتد من منفلو ط الى بني سويف

المقاطعة الثالثة . كاشفية بني سويف وحاكمها يدفع في كل سنة هدية الى الباشا في ثلاثون كيساً وخمسة اكياس الى الكيخيا والاغاوات بمصر وقسطه المفروض عليه من خراج السلطنة سبعون كيساً وثمانون اردباً من القمح وعدد بلاد هذه الكاشفية ٣٠٦ تعطى كلها بالالتزام لتحصيل خراجها وغالباً يأخذ الكاشف الالتزام لنفسه او ينتقي احسن القرى واحود الاراضي ويزرعها على حسابهِ فيتمتعها خدمه واعوانه واحياناً يسخر الفلاحين في العمل ويجمع منهم مئتي زوج من البقر والثيران يستعين بها على حرث الارض وزرعها . ولكاشف بني سويف سلطة مطلقة في الاحكام والسجن والقتل بدون استشارة ديوان مصر كما لكاشف جرجا ومنفلوط السابق ذكرهما

المقاطعة الرابعة . كاشفية الفيوم وعدد بلادها ٣٠٠ وهذه الكاشفية كثيرة الغياض والبساتين المغروسة بالاشجار المثمرة وكروم العنب ويزرع فيها الكتان ولجودة نوعه بلقب في اسواق التجارة بالكتان الفيومي . ويدفع حاكم هذه الكاشفية الى الباشا في السنة خمسة وعشرين كيساً والى الكيخيا والاغاوات خمسة اكياس وقسطها من الخراج السلطاني مئتا كيس وليس عليها غلال وقواتها مؤلفة من مائة وخمسين جندياً من الانكشارية والسباهية وتدفع مرتباتهم وعلائقهم من جيب الحاكم

المقاطعة الخامسة . كاشفية الجيزة وعدد بلادها ١٦٤ ويدفع حاكمها الى الباشا في كل

سنة ٢٥ كيساً الى الكيخيا والاغاوات خمسة اكياس ويؤجر الاراضي للمتزين الا انه
يبقى اجورها لنفسه ويزرعها على حساب مستخرى الفلاحين . وبهائمهم في حرثها وحصادها وجمعها
وعنده من الاجناد الانكشارية مائة وعشرون يدفع لهم مرتباتهم وعلاقتهم . واراضي هذه
الكاشفية تروى بالراحة بلا آلات وسواق . ويكفي لريتها ان يصل مقياس النيل الى
عشرين ذراعاً فقط وتزرع فيها كل انواع الكتان وليس لحاكمها سلطة مطلقة في الاحكام
الكبرى والقتل بل يرجع فيها الى ديوان مصر لقربها منه . وقسط كاشفية الجيزة من
الخراج السلطاني ١٩٦ كيساً وليس عليها غلال

المقاطعة السادسة . كاشفية البحيرة وتمتد حدودها شمالاً الى راس اندريا في
البحر المتوسط وهذه الكاشفية كثيرة الانساع وعدد بلادها ٣٦٠ وحاكمها يدفع الى
الباشا في كل سنة ثلاثين كيساً الى الكيخيا والاغاوات ستة اكياس وقسطها من
الخراج السلطاني ٤٨٠ كيساً واكثر اراضيها تروى بالآلات والسواق ويرسل اليها من
مصر ٢٥٠ جندياً من الانكشارية والمتفرقة لحفظ الامن ورد غارات العربان يدفع الحاكم
مرتباتهم . وهو مسؤول ايضاً عن حفظ التربة المتصلة بالاسكندرية وتطهيرها وطولها
تسعون ميلاً فيسخر الاهالي الفلاحين بهذا العمل . ويكثر في هذه الكاشفية البقر
والغنم لجودة مراعيها الخصبية . واذا وصل باشا جديد من استانبول فعلى كاشف البحيرة ان
يقدم له الركائب لخدمته وحمل اتباعه وامتعه من الاسكندرية الى القاهرة وان يقدم له
جوادين عربيين هدية

وفي هذه الكاشفية اديرة السياح والرهبان وكنائسهم وعددها ٣٦٠ ديراً وكنيسة في
الصغراء بالداخلية تلقب باسقيط القديس مكار يوس ويتوصل اليها من طرانة وهي كاشفية
صغيرة تحت حكم كاشف يرسل من مصر لحفظ الامن وملاحظة استخراج النطرون . واما
رهبان وقسوس الاديرة فيضطرون لراحتهم وامنتهم ان يضعوا انفسهم تحت حماية رؤساء
العربان مقابل غرامات وضرائب مفروضة عليهم في كل سنة

وبالقرب من طرانة بحيرة كبيرة مياهها قلوية يقال لها بحيرة النطرون ويستخرج منها
مقادير كثيرة تحمل الى الاسكندرية فيشتريها التجار الافرنج ويشحنونها الى مرسيليا ومنها
الى روان في فرنسا لتبييض الاقمشة وصقل الجلود وصنع الكهرمان المقلد وقسم منه يرسل
الى تركيا

المقاطعة السابعة . كاشفية الغربية وهي كثيرة الانساع وارضها متصلة باراضي دمياط

وهي اغني الكاشفيات واوسعها وكل اراضيها جيدة وعدد بلادها ٣٦٠ وحاكمها يدفع الى الباشا في كل سنة اربعين كيساً والى الكينيا والاغاوات تسعة اكياس وقسط الكاشفية من الخراج السلطاني ٤٩٠ كيساً وفيها من الاجناد ١٥٠ لحفظ الامن ونظام الري وتعطي الاراضي للمتزمين الا ان الكاشف يحفظ لنفسه بعض البلاد ليزرعها على حسابه وكثيراً ما يستخرج الفلاحين ومواشيهم يحرث الارض وجمع الغلال

وفي هذه الكاشفية ثلاث مدن كبيرة وهي مدينة المحلة وتلقب بالكبرى لانواعها وكثرة سكانها ومدينة طنطا ويقام فيها سوق عظيمة في كل سنة يقال لها المولد الاحمدي البدوي تنصب فيها المضارب وتقام المسابقات والملاعب والملاهي وسباق عظيم للخيول يخضره الحاكم والاجناد وبلغ عدد الجياد المتسابقة نحو الفين من الخيول العربية ويزرع في هذه الكاشفية قصب السكر والارز والكتان والقرطم يستخرج منه الزيت للاضاءة ومواشيها كثيرة من غنم وبقر وماعز وجاموس يستخرج منها مقادير عظيمة من الزبدة والالبان والسمن والجبن

المقاطعة الثامنة . كاشفية المنوفية وهي صغيرة وبلغ عدد قرارها نحو ١٠٣ وحاكمها يدفع الى الباشا ٢٥ كيساً والى الكينيا اربعة اكياس وقسطها من الخراج السلطاني ٢٩٠ كيساً واراضيها كلها جيدة خصبة يزرع فيها الكتان والقصب

المقاطعة التاسعة . كاشفية المنصورة وعدد بلادها ١٨٤ يدفع حاكمها الى الباشا في كل سنة ٢٥ كيساً واربعة اكياس الى الكينيا والاغاوات وقسطها من الخراج السلطاني ٢٩٠ كيساً وكل اراضي هذه الكاشفية مروج خصبة يزرع فيها الارز والكتان والحبوب على انواعها وفي المنصورة بساتين كثيرة مغروسة بالاشجار المثمرة ويكثر فيها نبت الخشخاش

المقاطعة العاشرة . كاشفية القليوبية وتصل بضواحي مصر وعدد بلادها ١٨٤ ويدفع حاكمها الى الباشا ٢٥ كيساً والى الكينيا واعوانه اربعة اكياس وقسطها من خراج السلطنة ٢٩٦ كيساً وليس عليها فريضة غلال

ديتري نقولا

كتاب الزراعة

دود القز

لمعة من تاريخ نشأته ووصافه الخارجية في اطوار حياته

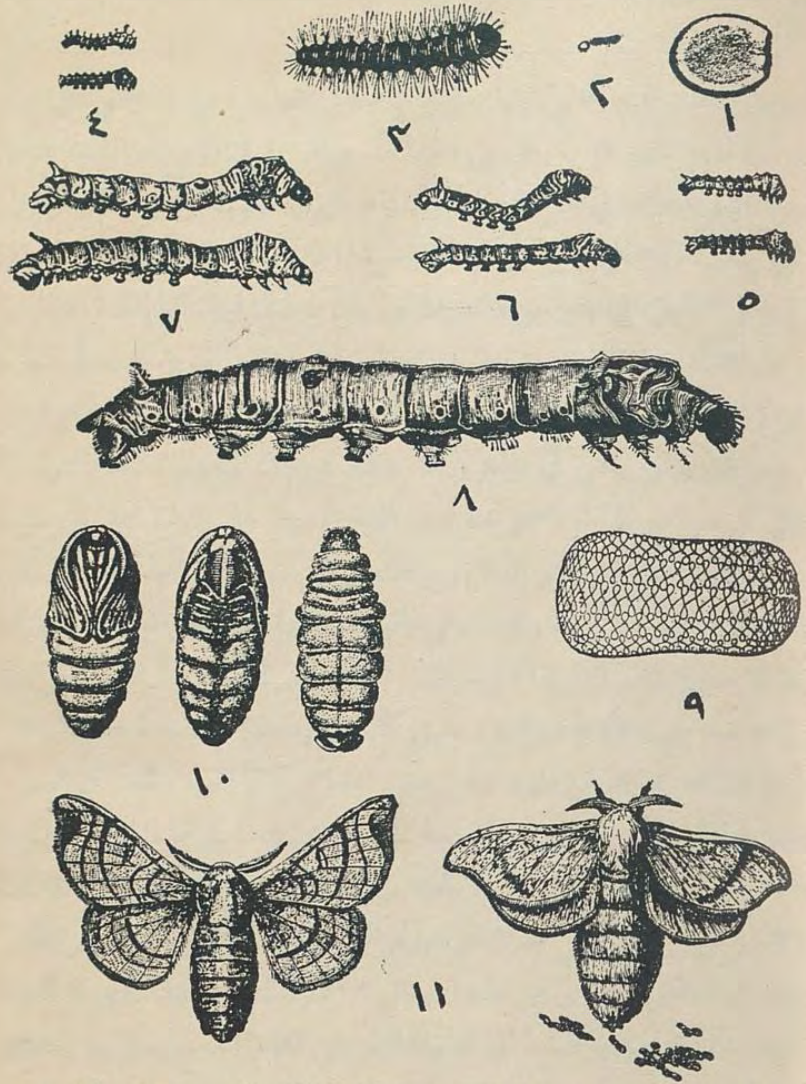
ابنت في نبذة سابقة كيفية تربية نوعين من انواع دود الحرير البري الاصل وقلت بالاختصار ان احدهما يغذى بورق شجر الخروع والآخر بورق الابلانتوس ثم وعدت في ذلك الحين ان آتي في مقالات تالية على ذكر انواع الديدان الاخرى التي تخرج الحرير مع بيان كيفية معيشتها في وطنها الاصلي ونوع ورق الشجر الذي يتغذى كل منها به . ولما كان دود القز الذي يغذى بورق التوت اشهر انواع هذه الديدان كلها واهمها في نظر المشتغلين بتربية دود الحرير في البلاد الشرقية آثرت الكلام عليه في مقدمة سلسلة هذه المقالات مبتدئاً بلمعة من تاريخ نشأته وكيفية اكتشافه

اصل دود القز على ما ذكر في التواريخ الصينية القديمة من التبت الصغرى احدى ولايات آسيا الوسطى التي تدفع الخراج للصين اذ كان معروفاً فيها من عصور مضت عائشاً في الفضاء على اشجار التوت يتنقل حراً بين فروعها واغصانها . غير ان الصينيين انفسهم ينسبون اكتشافه الى احدى ملكاتهم المسماة سيلنج شي لانها اول من ربت في قصرها وتوصلت الى حل فيالج الحريرية في القرن السابع والعشرين قبل المسيح . ولهذا رفعوا مكانتها الى مصاف الالهة وجعلوا لها عيداً سنوياً يحتفلون به احتفالاً عظيماً . ومن ذلك الحين ظلت ملكات الصينيين ونساء اشرافهم الى يومنا هذا يقرّبن لها القرابين يوم عيدها ويربين سنوياً في قصورهن مقداراً قليلاً من دود القز تذكراً لها واقتداء بها . على ان بعض الباحثين الذين اعتمدوا على التواريخ الهندية القديمة رجحوا ان اصله من مقاطعات الهند الجبلية لا من الصين وانما لم يذكرها اسماء تلك المقاطعات ولا عيّنوا تاريخاً لنشأته فيها . وبالرغم من الابحاث الكثيرة التي قام بها بعدهم كثيرون من علماء الطبيعة الحديثين الذين الفوا في موضوع تربية دود الحرير لم يوفق احد منهم حتى الآن الى تحقيق اسم البلد الذي خرج منه هذا الدود ولا للوقوف على ميقات ظهوره فالحقيقة لم تزل اذاً مجهولة . الا انه مما تعددت الروايات واختلفت الآراء في اسم البلد الذي نشأ فيه دود القز فالذي اجمع عليه جمهور

المؤرخين الاقدمين والمؤلفين الحديثين ان وطنه الشرق الاقصى حيث كان يعيش حرّاً في الفضاء ثم توصل الناس الى تربيته في بيوتهم ونقل بزوره بالتوالي من بلد الى آخر حتى عم انتشاره انحاء العالم

وهذا الدود كسائر انواع ديدان الحرير المعروفة ليس بالحقيقة من فصائل الديدان اذ ليس للديدان بالاجمال زوائد او اطراف اثرية وهي المعبر عنها بلسان العامة بالارجل تستعين بها على الدّب او الوقوف وانما اصطلاح الناس على تسميته كذلك لتوفر الشبه بين شكل جسمه المستطيل وشكل الدود فهو اذاً نوع من انواع الحشرات الدّبابية التي تقيم على الاعشاب والاشجار لتغذي بورقها وانما يختلف عنها بقدر ولونه وامياله وكيفية المعيشة الخاصة به فضلاً عن كونه احقّ منها بالعناية لما فيه من النفع لبني الانسان بينما تجلب هذه له انواعاً كثيرة من الضرر وتحمله على كراهتها وتدير الوسائل لابطائها

ويتقلب دود القز في اربعة ادوار مختلفة شأن ديدان الفراش الذي من نوعه فيتحول بقدرة خلقه من حال الى حال اذ بينا يراه الانسان بيضاً حقيراً في اول وجوده اذ هو يراه بعد امد دوداً دباباً ساعياً وراء غذائه فتي اتم نموه ينسج على نفسه غلافاً حريراً يغطي الشكل يدفن فيه حياً ثم يتحول وهو في داخله الى زيز لا حراك به ولا غذاء له الا بعض سوائل جسمه الصالحة لانهائه . وهو يبق على هذه الحال بضعة ايام يخرج بعدها من غلافه بشكل فراش ابيض اللون لا شبه على الاطلاق بين حالته هذه وحالته السابقة بل يبدو كأنه حيوان آخر (انظر الرقم شكل ٢ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١) فعليه يتولد دود القز من بويضات اعناد الناس تسميتها بزوراً لكثرة مشابهتها لبزور النباتات والثمار تبضها الاناث من فراشه عقب تزاوجها بذكورها في اواخر ايام الربيع فتلتصق بالاجسام التي تقع عليها بواسطة الطلاء الغروي الطبيعي الذي يفساها حين خروجها من جسم الفراش وهذه الحالة هي الدور الاول من ادوار حياة الدود . اما حجم هذه البزور فصغير جداً بقدر حب الخردل او بزر ثمر التين وتوسط قطرها ملليمتر واحد تقريباً وهي بيضية الشكل وان تكن كالعدس مفرطة قليلاً من جوانبها وفي قمته انبعاث جزئي سببه اثر الفتحه التي دخل منها اللقاح والتي يخرج الدود منها حين نفقه انظر شكل (١) . غير أنّ لونها أصفر باهت عند خروجها من جسم الفراش وتحفظ بهذا اللون ان لم تلقح والا فيكدر لونها في اليومين الاول والثاني ويضرب شيئاً فشيئاً الى الحمرة القرفية ونها الى السمرة في اثناء الاسبوع الاول . وبعد ذلك يتحول تبعاً لجنس الدود الى لون رمادي ضارب الى السواد او الزرقاء او



(١) شكل قشرة بيضة دود الفز بعد النفث مكبرة بالمكروسكوب (٢) شكل دود الفز عند النفث بجرمو الطبيعي (٣) شكل دود الفز حين ولادته مكبرا بالمكروسكوب (٤) شكل دود الفز في دور عمره الاول قبل انسلاخ جلده وبعده (٥) شكل دود الفز في دور عمره الثاني قبل انسلاخ جلده وبعده (٦) شكل دود الفز في دور عمره الثالث قبل انسلاخ جلده وبعده (٧) شكل دود الفز في دور عمره الرابع قبل انسلاخ جلده وبعده (٨) شكل دود الفز التام النمو (٩) شكل فليجة (شرنقة) دود الفز لاطهار كيفية نسج الدود لها (١٠) شكل دود الفز حين استحالته الى زير وشكلا الزير من الظهر والبطن (١١) شكلا فراش دود الفز ذكرًا وأنثى

دود الحرير في اطواره المختلفة

مقتطف يوليو ١٩١٢

امام الصفحة ٦٤

الحفزة ويظل اللون الذي نتفذه لونها حتى يأتي ميعاد نفقها . وبعد ان يمضي على هذه البويضات مدة تسعة اشهر تقرّباً وهي على حالتها هذه ويحيى اوان الربيع من السنة التالية يبدأ الجمود الذي اعتبرها في فصلي الصيف والشتاء بالزوال رويداً رويداً ثم يطراً على داخلها تغيير بدوم مدة عشرين يوماً تكون في غضونهما الجرثومة الحية التي تحتويها وتوالي عليها ادوار النمو فتستحيل الى جنين بهيئة شريط او رباط يتغذى في اثنائها بالمادة الصفارية المحيطة به الى ان تنفد هذه المادة ويتم نموه بفعل حرارة الجو فينقف البويضة مبتدئاً بدوره الثاني ويخرج منها بشكل دود صغير الحجم اسود اللون في اوائل عمره (انظر شكل ٢) ثم يكون رمادياً ضارباً الى بياض في اواخره الا ما شذ عن ذلك فيكون شديد السمرة او مرسوماً على كل فقرة من فقرات جسمه خط اسود اشبه بخطوط جلد الفرا (حمار الوحش) اما جسمه فمن الملس الخلو من العظام وموّلّف من فقرات متحركة آخذ بعضها ببعض عددها اثنتا عشرة فقرة عدا رأسه وعجزه وعلى جانبي تسع منها لجهة الظهر فوهتان سوداوان مستديرتان للتنفس وبظاهر الفقرة الحادية عشرة نتوء صغير يشبه القرن (انظر شكل ٨) وبكسو جسمه هذا حين ولادته وبر اسود دقيق كالشوك وطويل بالنسبة لحجمه (انظر شكل ٣) ثم يتساقط تدريجاً عن ظهره وعن بعض اعضاءه كلما نما الدود وتقدم في العمر . وعلى جانبيه لجهة البطن ارجل ست منها امامية قشرية وعشر خلفية غشائية لكل منها فائدة خاصة ووظيفة معينة . فالارجل الامامية مركزة في جانبي كل فقرة من الفقرات الثلاث الاولى التي تلي رأسه وهي فضلاً عن انها مركبة من ثلاثة مفاصل فانها تنتهي باظافر حادة معوجة الى الداخل . فالاولى من هذه الارجل يستعملها الدود لاجتذاب ورق التوت اليه والثانية ليضم بواسطتها طعامه الى فمه والثالثة وهي اقصر الجميع يسلم بها خيطين حريزين دقيقين يخرجان معاً من فتحة زائدة لحمية صغيرة مخروطية الشكل كائنة في قاعدة شفته السفلى تستمد حريها من وعائين طويلين كقناتين متصلين بها من الداخل ثم يلبصق الدود الخيطين الواحد بالآخر كي يكتسبا من المتانة ما يكفي لحمل جسمه اذا تدلى عند شعوره بقرب خطر ما او لوقايته حين تغليفه له عند ما يصير في دوري الزيز والفراش خاتمة ادوار حياته . ولكن هذه الزوائد او الارجل الامامية وان تكن جميعاً للدود بمثابة الابدي والاصابع الا انها لا تخرج عن كونها قوائم تساعد على الديق او على تثبيت مقدم جسمه ريثما ينقل موّخره من مكان الى مكان . والارجل الخلفية هي عبارة عن اطراف اثرية مركزة في الفقرات السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والثانية عشرة من جسمه .

وهي جميعها كالارجل الامامية مركبة من ثلاثة مفاصل وانما الاخير منها فضلاً عن انه مستعرض الشكل وقابل للانقباض فانه يحنوي في جوفه اظافر قصيرة دقيقة تعين الدود على التمسك بما يقف عليه بحيث يستطيع وهو على غصن او عود ان يتناول غذاءه عن بعد لانه متى تعلق بهذه القوائم مهل عليه ان ينتصب ويمدد فقرات جسمه فيخرج اذ ذاك مقدمه الى خارج موقفه ليحركه كيف شاء ويديره حيث رام ويقبض على غذائه بارجله الامامية ولدود القز غير هذه الاعضاء الخارجية اعصاب وعضلات وغدد والنسجة واجهزة داخلية متعددة كثيرة الاهمية سريعة العطب لا بد لكل مرب لدود الحرير من العلم بها والوقوف على كنه وظائفها حتى يتسنى له القيام بعمله على احسن منوال ويتجنب الامراض والابوثة التي قد تطرأ على الدود في اثناء تربيته . ولما كان المقام لا يساعدنا على ذكر هذه الاعضاء كلها ووصف تلك الامراض والابوثة واعراضها وطرق العدوى بها مع بيان الوسائل الواقية منها فحسبنا ان نرد طالب المزيد من البيان الى كتابنا في علم تربية دود الحرير مقتصرين هنا على ايراد اوصاف دود القز الخارجية رغبة منا في تعريفه للقراء اذ الغرض الآن الدلالة عليه فقط لا الاستقصاء

الفونس خلاط

الآن الدلالة عليه فقط لا الاستقصاء

اخنصاصي بفن تربية دود الحرير

سنأتي البقية

ريج الزراعة في مصر

يظن البعض ان المالك المصري يريج من اطيانه ريجاً كبيراً جداً لا يقاس به ريج آخر . وهذا قد يصدق على اصحاب الابعاد الكبيرة الذين ورثوها فلم يشتروها بما تساويه اولم يتعبدوا باصلاحها او الذين اشتروها بثلث بخس في ايام رخص الاطيان . اما الذين اشتروا الفدان بخمسين جنياً فاكثروا الى مئة او مئتين والذين اشتروا اطياناً رخيصة وانفقوا مبالغ كبيرة على اصلاحها فلا يزيد متوسط ريجهم منها على خمسة في المئة من الثمن الذي اشتروها به او انفقوه عليها وباقي الريج يذهب الى المستأجر والعامل . وما ذلك الا لان متوسط الضرائب على الاطيان يبلغ مئة غرش على الفدان فكأنها تستنزل عشرين جنياً من متوسط ثمنه . ولان اكثر اعمال الزراعة يعتمد فيها على الايدي العاملة لاعلى الآلات ففي القطر نحو ستة ملايين فدان تزرع ولا يقل عدد العمال فيها عن ثلاثة ملايين نفس فكل عامل (او نفر) يخدم فدانين او كل مئة عامل يقومون بخدمة مئتي فدان . ويبلغ صافي ثمن المحصول من المئتي فدان في السنة نحو ٢٤٠٠ جنيه يأخذ منها الملاك ٧٠٠ جنيه

اي بمعدل خمسة في المئة بالنسبة الى ثمن الاطيان اذا حسبنا متوسط ثمن الفدان سبعين جنيهاً وبأخذ منها الانفاق العامون ١٠٠٠ جنيهه والمستأجرون ٧٠٠ جنيهه ٠ فأكثر ايراد الزراعة ذاهب الى المستأجر والعامل لا الى المالك

وقد اطلعنا الآن على احصاء ديوان الزراعة في بلاد الانكليز لانواع مختلفة من اطيانها الغالية والرخيصة ومتوسط ريعها وكيفية قسمته على المالك والمستأجر والعامل فاذا متوسط ثمن الفدان ١١ جنيهاً ومتوسط ايراده في السنة ٦ جنيهات ويلزم لكل مئتي فدان سبعة انفاق فقط لكثرة الاعتماد على الآلات الزراعية والاكتفاء بمحصول واحد في السنة ٠ فايراد المئتي فدان ١٢٠٠ جنيهه ينال المالك منها ٢٦٤ جنيهاً اي ٢٢ في المئة والمستأجر ٥٧٦ جنيهاً اي ٤٨ في المئة والانفاق ٣٦٠ اي ٣٠ في المئة فيبلغ ايراد النفر في السنة اكثر من ٥١ جنيهاً ويبلغ ايراد المالك بالنسبة الى ثمن اطيانه ١٢ في المئة ٠ فالفرق كبير بين دخل المالك عندنا ودخل المالك في بلاد الانكليز وبين دخل النفر هنا ودخله هناك وسببه الاكبر قلة استعمال الآلات الزراعية عندنا وكوث الضرائب عالية جداً على اطيان القطر المصري وكون الاطيان غالية جداً

ورب معترض يقول لماذا نغالون في ثمن الاطيان فلو حسبتم ان متوسط ثمن الفدان ٣٥ جنيهاً بدل ٧٠ جنيهاً لبلغ ايراد المالك منه عشرة في المئة فيجب اولاً ان الذين اشتروا اطياناً رخيصة ثم اصلحوها حتى صارت من الاطيان الجيدة انفقوا على اصلاحها ما صار به ثمنها اكثر من سبعين جنيهاً هذا من الوجه الواحد ومن الوجه الآخر ان متوسط ضرائب الاطيان وهو جنيهه على الفدان لم تحسبه مع صافي الايراد وهو بمثابة ٢٠ جنيهاً في ثمن الفدان

ثمن القمح

يزعم البعض ان الحبوب غلت في القطر المصري لانها ترسل الى البلاد الانكليزية وتباع فيها ٠ ويظهر لنا ان هذا الزعم بعيد عن الصحة فقد امرت الحكومة الانكليزية في ١٦ ابريل الماضي ان لا يزيد ثمن الكوارتر من القمح الذي زنته ٤٨٠ رطلاً على ٧٨ شلناً فيكون ثمن الارب منه ٢٥٢ غرشاً لا غير ٠ والقمح الذي يوزن في البلاد الانكليزية اجود من القمح المصري واغلى منه ٠ ويجب على البائع ان يوصل القمح الى سكة الحديد لينقل الى المشتري او ان ينقله الى مخازنه فلا يحتمل والحالة هذه ان يصدر الى بلاد الانكليز قمح مصري وهو في سعره الحاضر

الحرث بمحاريث البترول

جربت الحكومة الانكليزية الحرث بمحاريث البترول الاميركية وكان المحراث منها
يجر ثلاث سلك فوجد انه يجرث ثلاثة ارباع الفدان في الساعة ويجرق على حرث
الفدان الواحد جالونين ونصف جالون من البترول اي نحو سبع اقات او ما يساوي ١٥ غرثاً
من البترول ٠ والحرث جيد بقلب الارض قلباً الى عمق سبع بوصات وقوة المحراث
الواحد مثل قوة ١٦ حصاناً وهو من نوع موغول American Mogul يتصل
به Canadian Cockshunk

تجارب في زراعة القمح

طالعت بمزيد الاهتمام ما ذكره المقتطف في عدد نوفمبر سنة ١٩١٦ عن زراعة
القمح بالتجذير او بالتكنين وبناء على اشارته توجهت وقتئذ لمعاينة حقل التجارب التابع
لمدرسة الزراعة في الجزيرة ومشاهدة الزراعة بنفسي والوقوف على كيفية زراعة القمح
واتفق انني زرت حقل التجارب بينما كان العمال يجربون زرع القمح بالتخطيط فوجدت
انهم بعد ان حرثوا الارض وزحفوها قسموها الى تراسع متساوية المساحة طول كل
تربعة حوالي القصبة وعرضها كذلك وشاهدت الانقار بنقرون في الارض يعود
خطوطاً مستقيمة متوازية عمقها نحو خمسة سنتيمترات ثم يضعون حبوب القمح في
هذه الخطوط تلقياً اسوة بزراعة الدرة وذلك بنسبة ثلاث كيلات للفدان الواحد
وبعد وضع الحب في الخطوط يردمونها ثانية فتعود الارض الى حالتها الاولى من الاستواء
وبعد ذلك يروونها كزراعة القمح العادية ٠ وقد لاحظت انهم جعلوا البعد بين خطوط
الزرع المتوازية على نوعين فجعلوها على بعد اربعين سنتيمتراً بين كل خطين في بعض النقط
وعلى بعد عشرين سنتيمتراً في نقط اخرى

ثم فهمت من رئيس العمال انه عند ما ينمو النبات ويصير علوه حوالي العشرة
سنتيمترات يعزقون المساحات الخالية من الزراعة بين الخطوط عزقاً خفيفاً ويتبعون في ما
عدا ذلك نفس الترتيب المتبع في زراعة القمح العادية

فزممت في ذلك الوقت على عمل بعض تجارب في هذا النوع من الزراعة واتبعت نفس
الخطوة التي شاهدها في حقل التجارب وانما جعلت البعد بين كل خطين ثلاثين سنتيمتراً

اي متوسط المسافين الذين شاهدتهما في حقل التجارب وقد توصلت الى ما يأتي : —
 نتيجة تجارب زراعة القمح بالتخطيط التي عملت في ارض مرشاق اخوان في ناحية منشأة رضوان مركز كفر صقر شرقية في سنة ١٩١٧
 والارقام محسوبة لمتوسط الفدان الواحد : —

نتيجة المحصول				نوع السماد	كمية السماد بالكيلو	نوع القمح	كمية التقاوي بالكيلو	تاريخ الزرع	كيفية الزراعة	نوع القمح
ارذب	فصح	قده	تبن							
٩	٥	—	٩	٥٦	٨٠	بلدي	٣	٢٠ و ٢١ نوفمبر	بالتخطيط	بلدي
٩	٦	—	٩	٧٢	٨٠	هندي	٣	٠	٠	هندي
١٠	٠	—	١٠	٨	٦٠	بلدي	٣	٠	٠	بلدي
٨	٩	—	٩	١١٦	٦٠	هندي	٣	٠	٠	هندي
٦	١١	—	٦	١٧٦	—	بلدي	٣	٠	٠	بلدي
٦	٦	—	٦	٤٠	—	هندي	٣	٠	٠	هندي
٧	٣	٦	٧	١٢٠	٨٠	هندي	٦	٢٢ و ٢٣ نوفمبر	عاده	هندي
٧	١٠	١	٩	١٣٠	٦٠	هندي	٦	٠	٠	هندي
٢	٥	٥	٦	١٥٣	—	هندي	٦	٠	٠	هندي

وقد عملت هذه التجارب في ارض كانت مزروعة برسبياً في سنة ١٩١٦ وتركنا خلافاً او كشفاً الى ان زرعت قمحاً

ولا ينبغي ان البحث في تكاليف الزراعة من اهم المباحث التي ينبغي ان يلتفت اليها للتوصل الى نتيجة محصول الارض الحقيقي . ولذلك فاني فتحت لمصاريف قطع التجارب من النوعين حساباً خصوصياً فوجدت ان مصاريف الحرث والتزحيف والتجويس والري في نوعي الزراعة متساوية وان زرع التخطيط يختلف عن الزرع العادي بمصاريف التقاوي والتخطيط والتلقيط والعزيق فكانت النتيجة كما يلي : —
المصاريف الخصوصية في زراعة التخطيط

مصاريف عمل الخطوط	٢٥	للفدان
الزراعة بالتلقيط	٥	"
العزيق	٢٢	"
(ثمن ٣ كيلات تقاوي على حساب ثمن الارذب ١٨٠ قرشاً ٤٥)	٤٥	"
مجموع المصاريف الخصوصية	٩٧	"
المصاريف الخصوصية في الزراعة العادية		

مصاريف الزراعة بذرأ	٢	للفدان
(ثمن ٦ كيلات ونصف تقاوي بنفس السعر)	٩٧,٢٠	"
مجموع المصاريف الخصوصية	٩٩,٢٠	"

وبعبارة اخرى ان تكاليف الزراعة العادية هي اكثر من تكاليف الزراعة بالتخطيط . ولو قدرنا ثمن التقاوي بالاسعار الحالية اي ٣٠٠ قرش للارذب لوجدنا ان زراعة التخطيط اقل نفقة من الزراعة العادية بسبعة وثلاثين قرشاً ونصف في الفدان

وقد فاتني في عمل تجارب زراعة التخطيط ان اتبع نصيحة المقتطف من جهة العزيق فاني اتبعت خطة مصلحة الزراعة بان عزقت المساحة الحالية من الزراعة وتركنا التراب المزعوق في محله وكان الانسب ان يلقى التراب الناتج عن العزيق فوق خطوط النبات بحيث يتكون منه مساطب صغيرة شبيهة بمساطب القطن لان ذلك يساعد النبات على التجذير او التكنين ويزيد في عدد السنابل وفي كمية القش وبالنتيجة يزيد في محصول التبن والقمح زيادة تذكر
امين مرشاق

وقاية الطيور الآكلة للحشرات

اصدرت وزارة الزراعة المنشور التالي :

رغبة في المحافظة على الطيور الآكلة للحشرات وهي من انفع الاشياء للزراعة من حيث انها تعمل على منع ما يصيبها من فتك الحشرات بها صدر قانون (رقم ٩ في سنة ١٩١٢) يحرم قتل عدة انواع من الطيور ذكرت اسمائها فيه . ولقد وزعت الوزارة منشورات كتبها بعدة لغات وضمنتها قائمة الطيور المحمية وبينت فيها انه محرم على الجمهور ان يصيد اي طير من الطيور المدرجة في تلك القائمة او يقتنصها او يهلكها او ينقلها او يتجول بها في الطرقات او يجلسها او يعرضها للبيع او ان يبيع او يشتري شيئاً منها وان من يخالف منطوق هذا القانون يعاقب اول مرة بغرامة قدرها جنيه وتصادر البنادق وادوات الصيد والطيور التي تكون في حوزته وفضلاً عن ذلك فان صور اغلب هذه الطيور ملونة بلونها الطبيعي معروضة في الاماكن العامة ليراها الناظرون فلا يخطئوها اذا عابوها

ومن النتائج التي ترتبت على القانون المتقدم ذكره اعادة توطين ابي قردان احد هذه الطيور المحمية فان الفلاحين قد عملوا بالقانون حتى اصبح هذا الطير يرى في كثير من انحاء الوجه البحري بعد ان كان عدده حين صدور هذا القانون قد نقص حتى لم يبق منه هناك الا سرب واحد في مديرية الدقهلية . ولذا يصح ان يقال ان الوسائل الشديدة التي اتخذتها وزارة الزراعة ومصلحة وقاية الحيوانات قد كللت بالنجاح في هذا السبيل

اما فيما يتعلق بالطيور الاخرى التي هي اصغر من ابي قردان جسماً فمن دواعي الاسف ان الجمهور لم يراع القانون رعاية دقيقة وذلك ان الرخص تعطى بموجب لائحة الصيد لقنص الطيور غير المحمية او قتلها بواسطة الشباك او البندق ولكن حاملي هذه الرخص على ما يظهر كثيراً ما يستيئون استعمالها فيقتلون الطيور المحمية ايضاً ولذلك لا يزال الباعة يتجولون في شوارع الاسكندرية وضواحيها بصغار الطيور بعد ان ينزعوا ريشها عنها حتى يصبح تعيين جنسها متعذراً ولقد شوهد الكروان ايضاً يباع منذ عهد قريب في جوار القاهرة . نعم ان العصفور العادي اكثر صغار الطير شيوعاً في الاسواق وهو سهل التمييز عن الطيور الآكلة للحشرات بمنقار عميق غير حاد ولكن البيع غير مقتصر عليه بل يشمل الطيور المحرم صيدها ايضاً ومن الطرق البسيطة تمييز صغار الجسم من الطيور تمييزاً محققاً معاينة منقارها فان كل طيرة يحجم العصفور العادي او اصغر منه اذا كان منقارها ضيقاً مستديراً طولاً نحو سنتيمتر وربع

او اقل فهي طيرة آكلة للحشرات وبعبارة اخرى هي من الطيور المحمية المحترمة صيدها او قتلها
ولذلك يطلب الى حضرات موظفي الحكومة ان يتنبهوا لهذا الامر و يبلغوا البوليس
حوادث المخالفات التي ترتكب ضد القانون مما يشاهدونه ويتحققونه بعد تطبيق الطريقة المتقدمة
ولا يخفى ان ندرة الطيور عدوة الحشرات في هذه البلاد قد صيرتها مرتعا لفئك
الحشرات المؤذية ومن المقرر - الذي اصبح في حكم البديهيات - ان الوسائل الصناعية
لا إبادة الحشرات لا يقاس اثرها بما تحدثه الطبيعة نفسها بواسطة الاعداء الطبيعية ولذلك
بتعين على المزارعين ان لا يدخروا وسعا في المحافظة على الطيور الآكلة للحشرات وان لا
يقصر احد من يهتمهم فلاح الزراعة في القطر عن المعاونة على هذه المهمة ما استطاعوا اليها
سبيلا وخصوصا حضرات موظفي الحكومة على اختلاف اعمالهم ومصالحهم وموظفي البنوك
والشركات العقارية والتجارية والدوائر الزراعية ونحوها
وهذا بيان الطيور المحمية :

القنبرة ثلاثة انواع

ابو فصاده

ابو قردان

الهدهد

كل انواعه ويشمل "Chats" و "Redstarts" }
العصفور ساكسيكولا
و "Blue-throats" و "White throats" }
و « عصفور البببت »

العصفور المغني كل انواعه ويشمل « البلبل »

ثلاثة انواع آكل الذباب

الصغير

الوروار ثلاثة انواع

الزقزاق (الطقطاق)

الكروان اربعة

البيكافيجا

العديد من طيور صغيرة الجسم ، منها العصفور المغني الاحمر

المعروف عند العوام باسم «ابى مغازل» او «عنز» او «الحاج فاسم»

اللقلاق

وزير الزراعة احمد حلمي

الحشرات المضرّة بالرز في الغيط

ان استيفاء الكلام على هذه الحشرات من اختصاص علماءها وهم لم يكتبوا بعد في هذا الموضوع شيئاً يرجع اليه أو يُعتمد به اقل اعتماد لذلك اكتفي هنا بذكر ما شاهدته من وجهة عملية وهي التي تهتم زراع الرز

شاهدت بعد زراعة الرز بأسبوعين احياناً واربعة اسابيع او خمسة احياناً اخرى ان نباته مصفر ذابل وبالبحث وجدته مصاباً بحشرتين صغيرتين (الاولى) لاصقة بجذوره خاصة وقريبة الشبه بالتمل شكلاً ولوناً ولذلك يسميها بعض الفلاحين (قملة الرز) والثانية نعرف بالدودة وتصيب اوراقه وجذوره وبعضها شبيه بالحشرة الآنف الذكر اي ان لونها أشهب وبخ والبعض الآخر احمر اللون او اسود

ولا بادة هاتين الحشرتين يصرف الماء عن الرز ويترك بدون ري ٢٤ ساعة او اكثر اذا كان الجو صافياً والارض نقية فتهلك اثناءها الحشرات من حرارة الشمس وانقطاع الماء عنها وقد يقتضي الحال تكرار هذه العملية مرة اخرى او مرتين . وليلاحظ ان البقع الواظئة التي لا ينكشف الماء عنها بالصرف لا تهلك ديدانها بل تُعدي ما يحاورها ولذلك لا بد من الاعناء بنزعها جيداً . وفي حالة ما تكون الاصابة بالدودة شديدة اذ يوجد على الاوراق كثير من الديدان يُغمر نبات الرز بالماء غمرّاً ثقيلاً ثم يصرف الماء عنه صرفاً قوياً فيجرف في تياره القوي السريع تلك الديدان او اكثرها ويزيلها الى المصارف فتموت والباقي يهلك بعد الصرف كما ذكر قبل . ويصاب ايضاً وهو حديث بحشرة صدفة تعرف عند الفلاحين بالخنجر او القوقع (مفرده خنجارة وقوقعة) وهي عبارة عن حلزونة من الصدف يستكن فيها جسم حي هو جسم الحشرة فتطفو على وجه الماء وتسير نحو النبات فتأكل اوراقه وتسبب ايضاً اقتلاعه قبل تمكنه تماماً في التربة . وتباد هذه الحشرة بما يُباد به الدودة

ويصاب ايضاً بالمن وعلاجه صرف الماء مدة ٢٤ ساعة كما ذكر في اباداة الحشرة المعروفة بالقملة او الخملة . ثم ايضاً يصاب ايضاً وهو تام النمو بحشرة نقرط ساقه من اعلى فتقع السنابل وتفسد وتسمى دودة السنبيل والدويّة بالتصغير ولم اقف على علاج لها

احمد الالفي

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما هم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك ما يعود بالنفع على كل عائلة

حمى مالطة

حمى كانت كثيرة الانتشار في جزيرة مالطة فنسبت اليها ولكنها أصبحت قليلة جداً فيها حتى لقد اعترض المالطيون على نسبتها اليهم . ويطلق عليها ايضاً اسم حمى البحر المتوسط ويقال لها في جبل طارق حمى الصخر وفي ايطاليا حمى نابولي . ويعلم الآن انها موجودة في الهند والصين وجزائر فيلبين . وهي خفيفة الاعراض طويلة الاقامة تشفى احياناً حسب الظاهر ثم تنتكس . بكثير فيها العرق المنهك والآلام العصبية في الاعضاء والانتفاخ في المفاصل ولها مكروب خاص بها اسمه *Micrococcus Melitensis* وكثيراً ما يدخل الجسم مع لبن المعزى . وقد كانت هذه الحمى كثيرة التفشي في حامية مالطة فلما منع تقديم لبن المعزى للحامية الأبعد ما يغلى بطل تفشي الحمى فيهم . وقد تنتقل بوسائط اخرى ولكن ذلك غير محقق ولا يظهر انها تنتقل بالعدوى من شخص الى آخر . وهي تكثر في اشهر الصيف وتصيب الناس في كل سن ولكن الغالب ان من يصاب بها مرة لا يصاب مرة اخرى . وتأثي اعراضها خلسة مصحوبة بوناك وفقد القابلية وصداع وارق وارتفاع قليل في درجة الحرارة ولا سيما في المساء وتزيد هذه الاعراض وتشتد الحرارة الى ان تبلغ الدرجة ١٠٤ او ١٠٥ بميزان فارنهایت (٤٠ الى ٤٠ $\frac{1}{3}$ بميزان سنغراد) في المساء وتحدث الآلام العصبية وورم المفاصل . وتزول هذه الاعراض او تخف كل بضعة ايام او اسابيع مع زيادة في العرق وهبوط في درجة الحرارة ثم تشتد الاعراض ثانية وقد تستمر الحال كذلك بضعة اشهر حتى لقد نهزل الجسم بها هزلاً شديداً ولكن يندر ان تنتهي بالموت الا اذا حدث الموت من ضعف القلب او اختلاطات في الرئتين . وقد لا يسهل تشخيص المرض اولاً والغالب ان يوصل الى ان الحمى هي حمى مالطة بالاستدلال على انتفاء كل ما سواها كالتيغويد والملاريا والحمى الروماتيزمية ولكن بعد كشف المكروب صار يسهل الاستدلال عليها باكتشافه في دم المصاب بها

العلاج - ليس لها دواء خاص يشفيها . فاذا لم تزد حرارة المصاب على الدرجة ١٠٣ يطعم البيض والخبز والارز ورطلين او ثلاثة من اللبن في اليوم . واذا استطاع هضم هذا الطعام من غير تعب يطعم قليلاً من السمك واللحم ولكن اذا كانت درجة الحرارة اعلى من ذلك فلا بد من الاقتصار على الطعام السائل كما في التيفويد . ويحسن مسح البدن بالسفنجية بماء بارد ولا سيما اذا كانت الحرارة شديدة . واذا ورمت المفاصل يخفف منها بلفها بخرق مبلولة بالماء البارد ويحسن الانتقال الى مكان هوائه بارد اذا استطاع المريض السفر بسهولة ومن نقه يدهن جسمه بالزيت او بزبدة النارجيل لتغذيته ويعطى مقويات من مركبات الحديد

الافراط في الاكل

نسع المعدة فنحورطلين من الطعام فالافراط في الاكل الى ما يزيد على هذا القدر كثيراً يفضي الى تمدد المعدة فيدفع الحجاب الحاجز الى فوق ويضغط القلب والرئتين فيعوق حركتهما . ثم انه اذا كان الوارد من الطعام على المعدة يزيد على حاجة الجسم الفسيولوجية فان بعضه يخرج من الجسم بطريق الكليتين بعد تحوله زللاً وسكراً . وهذا نادر الا اذا زاد الوارد زيادة فعلية . وبعضه وهو قليل جداً يخزن في الجسم بشكل دهن . اما الباقي وهو الاكثر فيحرقه الجسم ويستمد منه حرارته ومعظم هذا العناء يقع على العضلات . ولكن زيادة الاحتراق تفضي الى زيادة الفضلات وهذه تستدعي زيادة عمل الاعضاء المفرزة وفيه ما فيه من الضرر

على ان معظم ضرر الافراط آت من تولد السموم في الجسم واعراض هذا التولد صداع ودوار وكسل ونعاس في غير اوانه واغتمام لغير سبب ظاهر وسوء خلق . واذا دام الحال على هذا المنوال تعرض الجسم للنقرس او ما يسمى عادة بالروماتزم من غير تعيين او تدقيق وظهر ذلك في اواسط العمر او اخره . ويقال اجمالاً ان الذين يبلغون سن الشيخوخة في عافية هم الذين اعتدلوا في مأكلهم ومشربهم في ادوار عمرهم الاخرى

وصايا للاكلين

« ليكن طعامك بسيطاً في نوعه معتدلاً في مقداره اقله من المواد الحيوانية واكثره من المواد النباتية . وكل المواد النشوية والنيئة تحتاج الى مضغ كثير فالواجب ان يكثر

من مضغها . اما الطعام الحيواني فلا يحتاج الى المضغ الكثير مثلها . وليكن طعامك متنوعاً في اوقاته المختلفة ولا تشرب على الطعام »
 هذه وصايا اوصى بها الدكتور هري كمبل الانكليزي . وقد سئل السرنتون سيكس عن سبب طول عمره (توفي وعمره ٨٧ سنة) فقال :
 « آكل قليلاً بعد منتصف النهار وطعامي يقتصر على شيء من الشورية والحلوى . ولا اشرب خمرأ ابداً وانما اشرب ملء كأس من الوسكي في رطل من الماء المعدني الساعة الاولى بعد الظهر »

مقدار الطعام اللازم للجسم

يحتاج الرجل العادي الذي لا يروض جسمه كثيراً الى نحو رطلين ونصف من الطعام كل يوم . والرجل الذي يعمل عملاً بدنياً يجهد فيه عضلاته اجهاداً معتدلاً يحتاج الى اربعة ارطال . ولكن يجب ان نحسب حساب الامزجة واختلافها فان زيداً وهو صحيح الجسم قد يكفيه من الطعام ما لا يكفي عمرأ وهو صحيح الجسم مثله . وما ذلك الا لاختلاف الامزجة وطبائع الاجسام ومعظم هذا الاختلاف حادث عن الاختلاف في مقدار ما تنفقه الجسم من مادته وفي سرعة ذلك الانفاق . ثم ان العناية بمضغ الطعام حتى يمتزج به اللعاب تمام الامتزاج تحفظ حيوية الجسم وترم ما تهدم من بنائه بمقدار من الطعام اقل مما يحتاج الجسم اليه اذا لم يكن المضغ تاماً

ونحن انما نحيا بما تمثله اجسامنا من الطعام لا بما نبتلعه . وترانا على اختلاف من حيث اجهزتنا الهضمية فاصحاب الاجهزة السليمة يستخرجون من طعامهم غذاءً اكثر مما يستخرجها اصحاب الاجهزة السقيمة . واذا كان الهضم جيداً كان الدم جيداً ايضاً وبالتالي الصحة

الشاي والقهوة

ليس في الشاي والقهوة مجردين عن اللبن والسكر والماء مادة مغذية بل كل ما فيها مادة قلووية بينها وبين الحامض اليوريك لجمة نسب وهي الكافيين . وليس هناك دليل على ان الشاي والقهوة يضران شاربهما اذا اتقن تحضيرها وشربها باعتدال بل انهما بالضد من ذلك ينعشانه « ويروقان » دماغه كما يقول الناس في احاديثهم . ولكن من الاطباء من يقول ان هذا الفعل المنسوب اليهما وهمي متأت بالعادة وانه اذا امكن الخداع فيه كان

يقال لمن يشرب كأس ماء سخن ان فيه قهوة او شاياً فعل الماء فيه فعل الشاي والقهوة .
وفات قائل هذا القول ان الكافيين الذي في القهوة والشاي منبه لعمل القلب وهذا التنبيه
هو سبب ما يشعر به شاربهما من النشاط بعد عمل شاق بدنياً كان او عقلياً

الخبز الاسمر والخبز الابيض

كثر التجدد هذه الايام بالخبز الاسمر والخبز الابيض بعدما اصدرت الدول المتجارة
الوامر الى شعها بتحليل هذا الصنف من المواد الغذائية او تحريم ذلك لما عرف واشتهر
ان الموجود من الحبوب وخصوصاً القمح لا يكفي آكله في هذا العام الا ببذل الجهد في
الاقتصاد . والمراد بالخبز الاسمر الخبز المصنوع من الدقيق غير المقطف اي الذي لم يفصل
عنه سنبه وخشكره والابيض ما فصلا عنه . واليك جدولاً صغيراً للمقابلة بين تركيب
الصنفين كجاءوا

الخبز الابيض	الخبز الاسمر	
٤٠ في المئة	٤٥ في المئة	ماء
٠ ٠٦ ٥	٠ ٠٦ ٣	بروتين
٠ ٠١	٠ ٠١ ٢	دهن
٠ ٥١ ٢	٠ ٤٤ ٨	نشا وسكر ودكسترين
٠ ٠٠ ٣	٠ ١ ٥	سليولوز (لا يهضم)
٠ ١	٠ ١ ٢	مواد معدنية

اما الدكسترين فنوع من الكربوهيدرات بالاختار او الحرارة حتى يفقد صفته
الاصلية وهي الصفة الجلاتينية . واما السليولوز فنوع آخر من الكربوهيدرات لم يفقد
صفته الجلاتينية

الزكام وسببه وعلاجه

المشهور ان بعض الامراض كذات الرئة والحمى الروماتيزمية والزكامات على انواعها قد
تصيب الناس من الجلوس في مجرى هواء او بلل ملابسهم او النوم في غرف هوائية رطبة .
ولكن المقرر طبياً الآن ان سبب هذه الامراض ميكروبات تنتقل من العليل الى السليم
بواسطة رشاش اللعاب او بوسائط اخرى . اما التعرض للبرد بالجلوس في مجرى هواء او

لبس ثياب مبيلة او بالنوم في غرف رطبة فلا يجلب الامراض المذكورة مباشرة بل يضعف مقاومة الجسم للعدوى فيُعدي . وهناك عامل آخر يجب ان لا يُغضى عنه وهو انه اذا كان الجلد بارداً قليل الدم ضعفت احدى وظائفه وهي طرده لفضلات الجسم . ألا ترى ان البرد يعرض الجسم لعدوى الامراض خصوصاً اذا كان الجسم متعباً اي مثقلاً بالفضلات . اولا ترى ايضاً ان خبز الطرق لانقاء عواقب البرد انما هو تقوية الجلد وتنشيطه على العمل بالاستحمام في ماء حار ولبس ثياب دافئة . واذا كان البرد او الزكام شديداً فقد يفيد المصاب مع الحمام الحار والتدفئة ان يتناول مسهلاً فان المسهلات من المطهرات ومن يلات الفضلات

ضبط المقاييس

تهتم الحكومات الراقية بضبط المقاييس والمكاييل والموازين حتي لا يغبن احد من رعاياها فلا يدفع المشتري ثمن اربعين متراً من الحرير وهو لم يأخذ سوى ثلاثين لنقص المقياس . ولا ثمن خمسين اردباً من الحنطة وهو لم يستلم سوى اربعين لنقص المكيال . ولا ثمن ستين رطلاً من الدقيق وهو لم يعط سوى خمسين لنقص العيار . وهذا ما تفعله الحكومة المصرية الآن ولكن الحكومات الراقية جداً ولا سيما الحكومة الاميركية لم تفعل عند هذا الحد بل جعلت تضبط كل مقياس ومكيال وميزان وكل ما تُعرف به نسبة المواد بعضها الى بعض

غلا ثمن الفحم الحجري في هذه الايام غلاءً فاحشاً فسألنا البعض ترى لو ابدلنا الفحم الحجري بالحطب وقوداً في الآلات البخارية أكان في ذلك اقتصاد او اسراف على فرض ان ثمن طن الفحم ثمانماية غرش وثمان طن الحطب (الخشب) ثلثماية غرش وهل يكون من الاقتصاد ان يوقد البترول بدل الفحم الحجري وثمان الصفيحة منه ٢٥ غرشاً

هذه مسائل جوهرية ولكن ليس في القطر المصري ادارة يمكن الرجوع اليها في معرفة النسبة بين هذه المواد من حيث اسعارها والحرارة التي تتولد منها

ومثل ذلك استعمال الغاز للطبخ بدل الفحم او الحطب واستعمال الكهربائية للنور بدل الغاز او البترول . فان الحكم في هذه الامور يبنى عندنا على الاختيار لا غير كما ان يجد الواحد انه كان ينفق في الشهر مئة غرش ثمن الفحم الذي يحرقه في طبخ طعامه فصار ينفق

سنتين غرساً ثمن الغاز الذي استعمله بدل الفحم . او يقول انه كان ينفق على الانارة بالغاز مئة غرس في الشهر فصار ينفق على الانارة بالكهربائية مئتي غرس لما ابدل الغاز بالكهربائية في اضاءة بيته . ولكن يصعب عليه ان يقابل بين سطعان نور الغاز ونور الكهرباء وقد تنوعت مصابيح البترول ومصابيح الغاز ومصابيح الكهرباء في السنين الاخيرة حتى حار الناس في اختيار افضلها واوفرها ولا شبهة ان نور بعضها اسطع من نور البعض الآخر ونفقة بعضها اقل من نفقة البعض الآخر ولكن قلَّ من يعلم نسبة بعضها الى بعض ومقدار الفرق بينها بالتدقيق . وليس في البلاد ثقة يرجع اليه في ايضاح النسبة بينها بالتدقيق

ومن هذا القبيل الاختلاف بين قطع اللحم من الخروف الواحد او من الثور الواحد والاختلاف بين لبن البقر ولبن المعزى ولبن الجاموس . وبين اللبن الذي حلب منذ ساعة والذي حلب منذ بضع ساعات . وبين انواع السماد الكيماوي وبين الدرجات المختلفة من السماد الواحد وبين الزبدة الطبيعية والزبدة الصناعية وبين انواع الجبن المختلفة سواء كانت وطنية او اجنبية . وقس على ذلك اموراً كثيرة من هذا القبيل

فيحسن بالحكومة المصرية والحالة هذه ان ننشئ مصلحة عملها ضبط الموازين والمقاييس والمكاييل واطهار نسبة المواد بعضها الى بعض حتى يكون الناس على بينة من امرهم في كل شيء . فتنشر هذه المصلحة لائحة لاصحاب البيوت يرتشدون بها الى الاقتصاد في النفقات او الى الحصول على الفائدة الكبرى باقل ما يكون من النفقة . ومن هذه الفوائد ان الشبكة العادية التي توضع في مصباح الغاز تجعل نفقة النور الواحد نصف ما كانت . فاذا وجد مصباحان نورهما متساويان وكان احدهما سائبا من غير شبكة كما كانت مصابيح الشوارع في القاهرة قبلها وضمت لها الشبكة والثاني له شبكة عادية فنفقة النور الاول مضاعف نفقة النور الثاني اي ان الاول يحرق من الغاز في الساعة مضاعف ما يحرقه الثاني . واذا كان مقدار الغاز الذي يحرق في الثاني مثل مقدار الغاز الذي يحرق في الاول فنور الثاني مضاعف نور الاول في سطعانه او ان النسبة بينها كالنسبة بين ١٢ و ٧ . وتوجد شبكة اخرى تقل بها النفقة الى ربع ما كانت . ومنها ان الزبدة الصناعية اذا كانت موادها نقية فهي مغذية مثل الزبدة الطبيعية ولو كانت ارخص منها كثيراً . فوائد مثل هذه يجب ان تعلم ويطلع الجمهور عليها

باب المناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتحييداً لبلادهان ولكن المهمة في ما يدرج فيه على اصحابه فحسن براً منه كلوا ولا تدرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فيمنظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى المحقائق فاذا كان كاشف اغلاط غير عظيم كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) غير الكلام ما قل ودل فالقالات الوافية مع الاميجاز تستلزم على المطولة

ذكرى الطفولة

سلام على صفو الحياة سلام فلم يبق الا ان يحل حمام
سلام على عهد نقضى وما انقضت او اصر قربي بينه وذمام
تذكرته ذكرى الغريب لداره وقد حال من دون المزار سقام
وما نفع الحزون ذكره ما مضى ولكنها في النائبات قوام
وان اذكر الصفو صفو لاهله وان شب منه في الضلوع ضرام
قنعنا من الدنيا بماضي نعيمها ولين الليالي والزمان عرام
لقد اخلقت ابدي الحوادث جدتي وقد فات لهو في الصبا وغرام
واصبحت كالروح الطير لحاؤه ولكنه دون اللحاء رمام

سلام: وهل يغني المشوق سلام على زمن كالبرق حين يشام
فكم لي فيه من مراح ومن منى وساعات لهو كلين وسام
وكم طاب لي فيه رقاد وبقظة وكم لذ لي فيه هوى ومرام
وكم لي فيه من صحاب تألفت قلوباً حديثها السن فهي نوام
نعماً فقدناه فبتنا لفقدته كأننا غدونا والجحيم مقام
وهل كان الا طرفه حل بعدها على القلب من هذي الحياة سام
سام وهم دائب ونوائب اذا ما اتى عام عليه وعام

لقد كنت فيه احسب العيش خالداً وان قبور العالمين نيام
 وأن ليس في الدنيا شقاء ومحنة وان ليس فيها فرقة وخصام
 وأنا لا سعي علي ومطلب وان ليس حل للورى وحرام
 وان الفتى في الكون سلطان كونه وليس عليه في الوجود امام
 وان ابي مال وحول وعزة وسيف على هام الخطوب حسام
 فاخلف حسباني الزمان وصرفه وآمال عيش في الحياة جسام
 وأبصرت حولي الكون كالروض كلما انار فما للزاهرات دوام
 والفيت ان الناس رهن مشيئة تساق بها في ظلة وتسام
 واني لا شيء واني هالك واني رغام في الثرى ورجام

**

جهلنا على الايام في الكون ما الذي يراد بنا من عيشنا ويرام
 حياة على الاوهام تأتي وتنطوي تباعاً تباعاً والانام انام
 لقد كان يوماً ذلك العهد وانقضى وما العمر الا بقطة ومنام
 كأني رضيع والطفولة مرضع وقد حال من دون الرضاع فطام
 فيها انا لا طيب الحياة يروفي ولا يطبيني قينة ومدام
 كأني ما كنت الرعيد شبابه ولا كنت ألهو والفؤاد غلام
 عليك سلام الله عهد طفولتي لذكرك يا عهد السلام سلام
 اسكندرية زكريا ابراهيم

نفوس العظماء

- (١) ثبات الغرائز (٢) تأثير الوراثة والوسط (٣) تأثير الطبيعة
 (٤) تأثير الفرد على المجموع (٥) مسر العظيمة

وجدت صروف الدهر لا شيء غيرها تُغَيِّر من احوالنا فتحول
 ولو يستطيع المرء تغيير ما به لما كان منا نابه وخمول
 فكل امرئ يسعى الى اخير جهده ولكن مجهود الضئيل ضئيل
 فلا تطلبين من تأثر النفس هدأة وبين حنايا الصدر منه صؤول
 ولا تطلبين من خامل النفس ثورة فان نتاج العمر منه خمول

طبائع فينا رُكبت وغرائز فمنها جبال صعبة وسهول
فان غيرت تلك الطبائع حوادث فان الجبال الراسيات تزول
كما بفصل الزلازل ارضا منيعة فيجري خضم بينها ويصول
وان غيرت بعض النفوس صفاتها فللماء في صلد الصخور فلول

* *

هي النفس مثل الوجه يُورث حسنها فاكثر ابناء القبيل شكول
وقد يذهب الحسن الفتي بخطيئة ولكنها طبع لديه دخيل
أفادته اياه طبائع غيره كما ينقل العدوى اليك عليل
كما علم الاطفال ألسن قومهم يعلم كل ما يرى ويقول
وللوسط الموبوء عدوى تعمه وداء النفوس الخامدات اكول

* *

وفيك من الارض التي انت ساكن وفيك من الارض التي انت ساكن
ففي نفس سكان البوادي جدوبة وفي نفس سكان الجبال مناعة
وفي نفس سكان الجبال مناعة من الناس ناس لا تنور طبائعهم
لغيرهم منهم ثمار شبيهة لغيرهم من الناس ناس لا تنور طبائعهم
هل المرء الا قطعة من بلادهم من الناس ناس لا تنور طبائعهم
من النبات نبت الارض والماء مائها من الناس ناس لا تنور طبائعهم
وعقل الفتي من زاده وشرابه من الناس ناس لا تنور طبائعهم
فوا أسفا للنفس نرجو صلاحها من الناس ناس لا تنور طبائعهم

* *

هي النفس بنت الارض وهي كأمها يغيرها ما يتقى ويهول
وليس لها فيه اختيار وانما تصول به الايام حيث تصول
اذا بلغت نفس العظيم جنونها يصول بسيف مصلت ويقول
بسيف من الاراء أوحده صارم له كل يوم في الانام قتيل
فان عروق الناس جفت دماؤها فياليتها فوق التراب تسيل
وشردم ما لم يثر في عروقه فذلك في جسم الوجود فضول

وليست حياة ما اربقت دماؤها
وما ظلم السفاح قوماً بقتلهم
فكم بطل احيا عصوراً كثيرة
وتكبر آثار العظيم وفعله
ولكنه احسان لا معتمد
وكم جاهل بالامر يأتيه مكرهاً
كذلك افعال الطبيعة كلها
من الماء والترب الذي اطاق
ارى شجراً غصّ الثمار يظاني
سقاءه شعاع الشمس ماء حياته
عظائم ما للكون فيها ارادة
وفعل وما غير الزمان فعول

كذلك يساق المرء للمجد مكرهاً
وليست ثمار الكرم تفعل فعلها
وما يبتغي في ذروة المجد راحة
ولكنه شوق اليه يقوده
ولكنه كاللوج تنمو فروعه
وليس عجيباً ان يرى الناس نابغاً
رأوا منهم فيه مشابهة
لقد صدقوا فالناس في الشكل اخوة
وما ربيع انسان فظل فواده

ارى كل ارض قام فيها نوابغ
ارى كل قوم قام فيهم نوابغ
فلا تزهدن في مهجة طال غبناها
فان مصاباً يعتري النفس رائعا
اسكندرية
فتأثيرها عند الخطوب يزول
فتأثيرهم في النابغين قليل
ولا تياسن من ان يعز ذليل
بايرادها ماء العلاء كفيل
عبد اللطيف النشار

بَابُ التَّقْرِيزِ وَالْإِبْهَامِ

نبذة تاريخية

في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان

وضع هذه النبذة بل الكتاب الجليل سيادة المطران يوسف دريان رئيس اساقفة طرسوس شرقيًا والنائب البطريركي الماروني في القطر المصري وظيفة طالعًا جانبًا كبيراً من هذا الكتاب فوجدنا ان كلام المؤلف على اصل الطائفة المارونية يقصد به تارةً اصلها كطائفة دينية من الطوائف المسيحية وتارةً اصلها كأمة من حيث وطنها الاصلي . والامر الاول لم نرَ حجج المؤلف فيه اقوى من حجج مخالفيه ولا سيما اقدم المرحوم المطران يوسف داود السرياني على ما في كتابه جامع الحجج الراهنة المطبوع منذ بضع سنوات في القطر المصري . وسواء كانت هذه اقوى او تلك فليس هذا الامر هو الغرض الذي يرمي اليه المؤلف بالذات بل هو يرمي الى الغرض الثاني وهو ان اصل الموارنة بل اكثر سكان لبنان من الفينيقيين سكان صور وصيدا وبيروت وجبيل ولبنان الفينيقي وانهم كانوا غالباً مستقلين في جبلهم او كما قال « لهذا يحق لنا الاستنتاج بكل صواب ان اصحاب جبل لبنان الاصليين انما هم سلالة الفينيقيين اصحاب الممالك المشهورة المستقلة من قديم الدهر وقد استمروا على الدوام ينزعون الى هذا الاستقلال في كل عصر بحيث لم يخضعوا لمغتصبهم من الفاتحين الغزاة الا مكرهين والى حد محدود فقط فهم اذاً على قلتهم كالعناصر السلافية في موطنها »

وادلتة على ان سكان لبنان من سلالة الفينيقيين قوية وحبذا لو امكن تعزيزها بادلة انثربولوجية مبنية على قياس الجحاجم والعظام لانه يظهر لنا من شكل جحاجم السكان في شمال لبنان ان بينهم وبين الحثيين القدماء مشابهة كبيرة . ولا يخفى ان الحثيين اقاموا زماناً في جوار حماء وحمص وان مدينتهم قادش التي حاربهم فيها رعمسيس الثاني كانت قريبة من مخرج العاصي

اما استقلال لبنان وهو الامر المهم بالذات سواء كان سكانه من الموارنة او من غيرهم

فقد استشهد عليه بما جاء في تاريخ بروكوبوس المؤرخ السوري الذي نشأ في القرن السادس المسيحي فقد ذكر هذا المؤرخ أنه كان في لبنان قائدان عظيمان ومعهما جنود بواسل من اللبنانيين وأنه لما هجم الفرس على انطاكية بادر فرسان لبنان للدفاع عنها . وان قائد عساكر الروم طلب من هذين القائدين في وقت آخر ان ينضما الى جنوده لمحاربة الفرس فاييا مخافة ان يبعدا عن لبنان فيدم العرب سورية وفينقية وينهبوها في غياب حاميتيه ولما فتح العرب سورية لم يستولوا على لبنان وقد استشهد المؤلف على ذلك بمؤرخين من ابناء القرن الثامن المسيحي احدهما كتب في القسطنطينية وهو ثيوفانس صاحب حوادث السنين والاخر عربي وهو البلاذري صاحب فتوح البلدان . اما كلام ثيوفانس ففاده ان اهالي لبنان ضايقوا العرب اشد مضايقة حتي اضطر الخليفة معاوية ان يعقد صلحا غير موافق له مع قسطنطين ملك القسطنطينية . ثم اضطر الخليفة عبد الملك بن مروان بسببهم ان يحدد هذا الصلح بشروط اهم مع يستنيانوس ابن قسطنطين . و اشار البلاذري الى ذلك فقال « ان عبد الملك اضطر ان صالحهم على الف دينار في كل جمعة وصالح طاغية الروم (اي ملكهم) على مال يؤديه اليه لشغله عن محاربته وتخوفه ان يخرج الى الشام فيغلب عليه واقضى في صلحه بمعاوية حين شغل بحرب اهل العراق فانه صالحهم على ان يؤدي لهم مالا »

ولما جاء الافرنج الى سورية في الحملات الصليبية انتصر الموارنة لهم حتى ان الملك لويس التاسع ملك فرنسا كتب اليهم من مدينة عكا يقول ما ترجمته « لويس ملك فرنسا الي امير الموارنة بجبل لبنان والى بطريرك واساقفة الطائفة المذكورة ان قلبنا امتلا فرحا لما رأينا ولدكم ممعان قد اتى مع ٢٥ الفا حاملا الينا حاساتكم الحبية ومقدما لنا الهدايا الوافرة : وبالحقيقة ان محبتنا الخالصة التي ابتدأنا ان نستشعرها نحو الامة المارونية ايام حلولنا في قبرس حيث هم مقيمون قد تضعفت اليوم بزيادة ونحن موفون ان هذه الامة التي قامت تحت اسم القديس مارون هي قسم من الامة الفرنسية لان محبتها للفرنسيين اشبه محبة الفرنسيين بعضهم لبعض . وعليه فيجب من قبيل العدل ان نتمتعوا انتم وجميع الموارنة بنفس الحماية التي يتمتع بها الفرنسيون من جانبنا وان تقبلوا في الوظائف كما هم يقبلون : ولذلك فاننا نستحثكم ايها الامير الزفيق الشأن ان تسمى كل السعي في ما يعود على اهل لبنان بالسعادة وان تعنى باقامة اشراف من اكثر الناس اهلية لديك كما هو جار في فرنسا . وانتم ايها السيد البطريرك والسادة الاساقفة وجمهور الاكليروس وعامة

الشعب الماروني واميركم العظيم قد رأينا بكامل السرور تعلقكم الثابت بالدين الكاثوليكي واحترامكم لرئيس الكنيسة خليفة القديس بطرس برومية فنحنكم على المحافظة على هذا الاحترام وان تبقوا على الدوام غير متزعزعين بهذا الايمان

« اما نحن وجميع من يخلفوننا على عرش فرنسا فنعد باننا نوليكم انتم وجميع شعبكم حمايتنا الخاصة كما نوليها للفرنسيين بعينهم ونسعى في كل وقت في ما يكون آيلاً لسعادتهم » اه

والذي يطالع هذه النبذة وهو لا يعرف لبنان وسكانه قد يقوم في نفسه ان ليس فيه غير الموارد او لا شأن فيه لغيرهم مع اننا اذا حسبنا عدد سكانه كلهم ٤٠٠.٠٠٠ فالموارثة منهم نحو ٢٤٠.٠٠٠ وسائر السكان ١٦٠.٠٠٠ ومعلوم ان ثلاثة اثمان السكان ليست مأبغضى عنه . وحبذا الزمن الذي نكتب فيه تاريخ بلادنا غير ملتفتين الى ما بينهم من الفوارق المذهبية كما لا نلتفت الآن الى ما بينهم من الفوارق الطبيعية في طول القامة ولون البشرة وشكل الانف . ونرجح ان سيادة المؤلف يوافقنا على ان التقسيم المذهبي في لبنان هو الذي حرمة من ان يستفيد من قانونه الحديث الذي اشتراه بدم رجاله سنة ستين

كتاب المساكين

مصطفى افندي صادق الرافعي منشي هذا الكتاب شاعر في نظمه وفي نثره يميل الى الخيال ومبالغات الشعراء حتى في ذكر الحقائق . افنتج ديباجة الكتاب بحديث « اللهم احيني مسكيناً وامتنني مسكيناً واحشرنني في زمرة المساكين » وقال في فاتحة الكلام على غرضه من كتابه انه كتب « عن الفقر وما هو من باب الفقر لا لحوه ولكن للصبر عليه ولا من اجل البحث فيه ولكن للعزاء عنه » فاثبت في الحديث النبوي انه من الحسنات التي تبتغى وتطلب من الله وفي كلامه هو انه من البلايا التي يحسن الصبر عليها والعزاء عنها . ولقد احسن في قوله بعينه هذا انه ادار « الكلام في كل ذلك على الوجه الذي يراه الشاعر في ضحك الطبيعة ورقتها »

وبعد فقد جعل مدار كلامه على رجل قال ان اسمه الشيخ علي وانه من قرية منبت جناح من اعمال مركز دسوق احد مراكز مديرية الغربية فوصفه ووصف اطواره وصفاً شعرياً فلسفياً وهذا شأنه في كل ما وجه اليه قلمه فقد وصف النعم بقوله « النعم المناقة التي يأتي بها المال حين يأتيك بالجاه واصحاب الجاه ومن يريدك لمالك وجاهك . واعوذ بالله من النفاق ومن نفاق النعمة خاصة فينا هي لك اذا هي عليك وينا هي متاع اذا هي التباغ »

اما النعمة الحقيقية فوصفها بقوله « وهل في النعمة خير من الكفاف حاضرًا ومن الصحة فارمة ومن قرّة العين وضحك السن واستطلاق الوجه . وان يكون القلب في حجاب من نور السماء لا تهتك عنه رذائل النفس ولا يعلق به غبار الارض ولا يتغشاه ظلام الحياة . ولا يزال هذا القلب في نصرته وصفائه كأنه سعادة مخبوءة في غيب الله لم يخلق بعد من خبئت له »

لكن الشيخ الذي وصفه او فرضه ليس بالمثل الاعلى في بعض ما نسبته اليه ولا بالاوسط وقد يكون الاسفل فقد قال انه « اجهل الناس في الدنيا واجهل الناس بالدنيا كأنه من هذه الجهة مساوب العقل وانت اذا سطعت له بالجوهره الكريمة النادرة فلا يعدو ان يراها حصاة جميلة ثألق »

وختم الكتاب برائية عصماء تغار منها رائية ابي فراس قال فيها

طريدة بوئس ملّ من بوئسها الصبر	وطالت على الغبراء ايامها الغبر
وكانت كما شاءت وشاء جماها	كما اشتهت العليا كما وصف الشعر
تلاؤلاً في صدر المكارم درّة	يحيط بها من عقد انسابها درّ
نقاشت الحسن الالهي وانتني	يقاسمها فالامر بينهما امر
فلشمس منها طلعة الحسن مشرقاً	وفيهما من الشمس التوقد والجر
وللزهري منها نعمة الحسن عاطراً	وفيهما ذبول مثلاً ذبل الزهر
وللظبي منها مقتلها وجيدها	وفيهما من الظبي التلفت والذعر

الى ان قال في وصف هذه الحرب

وما الحرب الاّ ديمة دموية	اذا دنست روح الوري فهي الطهر
وما الحرب الاّ غصبة الله لامست	مخازي هذا الدهر فانفجر الدهر
ففي كل نفس غصة ما تسيغها	وفي كل قلب كسرة ما لها جبر
وما لوت الاسياف في الارض عزوة	من البغض الاّ والرووس لها زر
وكم قيل انسانية ومجبة	وعلم وتمدين واشباهها الكثر

والكتاب كله على هذا النسق نطالعه كأنك نطالع رسائل المعري او مناظرات الجاحظ او تعاليم سقراط او حكم كنفوشيوس . فيحسن ان يكون كتاب مطالعة في كل المدارس حيث يبتغى فصيح اللغة واتمّرت بالانشاء البليغ

امثال الشرق والغرب

كتاب جمع ما دار على السنة الفلاسفة الحكماء من مشاهير الشرقيين والغربيين الفاضلة
حضرة يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب في القاهرة وجمع فيه كثيراً من
اقوال الحكماء في كل عصر وما جرى من تلك الاقوال مجرى الامثال في كل موضوع
كالعلم والفضل والعمل والكسل والصبر والضييق والمعروف والاحسان والكرم والنجل الى
غير ذلك . وهاك ما جاء فيه تحت « كتمان السر » :

قال علي بن أبي طالب : سرّك اسيرك فاذا تكلمت به صرت اسيره
وقال الشاعر

اسيرك سرّك ان صنته وانت اسير له ان ظهر

وقال آخر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر اضيق
وقال سليمان الحكيم : من يحفظ فمه ولسانه يحفظ من الضيقات نفسه
وقال عمر بن الخطاب : من كتم سره كان الخيار في يده
وقال بولانو : اذا كشفت سرّك لثلاثة عرفه عشرة
وقال الشاعر

كل علم ليس في القرطاس ضاع كل سر جاوز الاثنين شاع
ومن امثال الانكليز : من يمت له بسرّك صرت له اسيراً
ومن امثال اليابانيين : لا تبيح باسرارك لخادمك

وقال شكسبير : اذا كنا في نعمة فبهي لا تدوم الا اذا كتمانها
وقال عمرو بن العاص : اذا افشيت سري الى صديقي كان اللوم علي لا عليه لاني انا
كنت اولي بصيانته منه

وقيل ايضاً : الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها
وقال حكيم : كما انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها كذلك لا خير في صدر لا
يكتم سره . وقالت العرب : اضعف الناس من ضعف عن كتمان سره
وقالوا : حفظك لسرك اوجب من حفظ غيرك له
وقالوا ايضاً : من كتم سره بلغ مراده

أوزان الشعر العربي

The Metres of Arabic Poetry.
By W. H. T. Gairdner.

رسالة انكليزية صغيرة في اوزان الشعر العربي وضعها جناب القانون جردنر اللاهوتي والعالم المستشرق لكي يسهل على ابناء اللغة الانكليزية فهم علم العروض ففسر كل كلماته الاصطلاحية كبحر وصدر وعجز وضرب وقافية وتفعيل وتقطيع وخبن وطى وقبض . ولم يكتف بذلك بل وضع لبعضها اشارات فرمز الى السبب الخفيف بخط اتي والى السبب الثقيل بقوسين والى الوند المجموع بخط وقوس والى الوند المفروق بقوس نقط والى الفاصلة الصغرى بخط فقوسين والى الفاصلة الكبرى بخطين ومن ثم سهل عليه ابدال كل التفاعيل بهذه الرموز . ومثل على بعض الابحر بايات بعضها قديم وبعضها من نظمه او من نظم سليم افندي عبد الاحد . ومن الايات التي نظمها المؤلف قوله

تذكرت ساعات الليالي التي فيها هجست لنفسي في سكون لياليها
وكم من هزيع مظلم قد مهرته تحدث نفسي نفسها وتناجيتها
تراجع لوحاً لا يمس ولا يرى ولكن به خطت تواريج ماضيا

وقوله للمستشرق الشهير غولدزهر وزوجته ولعله في رثائهما

وصاحبين هما بالطبع كاسمهما من صاغ صوغها سماهما ذهابا
بل صاحبين وكانا في حضورهما نوري ومذ ذهابا فالنور قد ذهابا
نزلت بيتها من سفرة نعبا فاظهرا كرمًا لي ينجل العربا
كانه ابن يعود البيت رحب بي وانني فيهما أما اري واما
وكم وكم ليلة لما رأيت سنا مصباحه في الدجى يممته طلبا
والدار كم جئت استجلي معارفها والآن قد اظلمت والنور قد هربا

وصدر البيت الرابع مرتبك ولعل اصله « كاني » ابن يعود البيت رحب بي . ورجل اجني ينظم الشعر العربي على هذا النمط لحقيق ان يعد بين الشعراء النابغين

الدليل المصري لسنة ١٩١٧

كان هذا الدليل يطبع بالفرنسوية فقط وقد طبع الآن بالعربية في كتاب كبير فيه الف صفحة حافلة بالفوائد الكثيرة عن البيت السلطاني وتاريخ مصر من اول عهدا الى

آخر سنة ١٩١٦ وقوانين الحكومة المصرية ودواوينها وموظفيها وحال الزراعة والصناعة في القطر المصري والاثار المصرية وكل ما يتعلق بالتعليم وما اشبه مما يطول شرحه، وبلي ذلك الحرف والصناعات في العاصمة واسماء المشتغلين بها مرتبة على حروف المتجم كالحامين والخبراء والاطباء والمهندسين والخياطين والخشامين والسباكين والخبازين والتجار على تنوع اشغالهم

ويشمل الدليل كل محافظات القطر ومديرياته وبلاد السودان ايضاً فقلما يكون موظف من موظفي الحكومة او وجيه من وجهاء القطر او صانع او تاجر ولا تجد اسمه فيه

صحيفة مدرسة التجارة المتوسطة

كنا نسمع ان المتخرجين في مدارس التجارة قلما يجدون عملاً يعملون به لكننا رأينا في هذه الصحيفة ما ينفي ذلك فقد ذكرت اسماء التلامذة الذين عملوا فيها والاعمال التي دعوا اليها والشهادات التي شهدوا فيها فيهم مستخدموهم وهي حسنة جداً تشهد لهم بالاستقامة والجد والاجتهاد واجادة الاعمال . بعضها بالعربية وبعضها بالانكليزية او الفرنسية حسب المحل الذي يكون فيه المتخرج

وفي هذه الصحيفة عدا ذلك مقالات كبيرة الفائدة في ام المواضيع الاقتصادية كتشجيع الاموال وانماء الثروة والصناعة المصرية والبورصة وبعض عملياتها والقوة المائية وطرق الاعلان والتربية والتعليم والمنافسة . وبلي ذلك اسماء خريجي سنة ١٩١٥ والاماكن التي توظفوا فيها وهم ٦٣ وخريجي سنة ١٩١٦ والاماكن التي توظفوا فيها وهم ٦٨

تاريخ الاتراك العثمانيين

نقله عن الانكليزية حضرة الاديب حسين افندي لبيب المدرس في مدرسة القضاء الشرعي وصف فيه الادارة العثمانية الى آخر عهد السلطان عبد الحميد ووصف استانبول والسراي السلطانية القديمة ويبحث في آداب اللغة التركية وخص فصلاً بالرجل المريض وهو لقب تركيا عند اهل السياسة وفصلاً بالانقلاب العثماني . وختمه بخنارات من الخطاب الذي رفعه المرحوم مصطفى فاضل باشا الى السلطان عبد العزيز . واعتمد في النقل على تاريخ تركيا لستاني لين بول وتاريخ الشعر العثماني للاستاذ جب ودائرة المعارف البريطانية وجريدة التيمس . ومعه خريطة تاريخية للاملاك العثمانية في غرة القرن التاسع عشر

Alexandria :
How to see it.

هذا اسم دليل المدينة الاسكندرية اصدره 'حضرة الخواجه اسكندر خوري وزينه' بخارطة واحد وعشرين صورة . وفيه كلام عن تاريخ الاسكندرية قديماً وحديثاً وآثارها القديمة والحديثة ومكتبة البلدية ومصلحة البوستة وكنائسها واندبته وسائر ما يتعلق بها

الفروق

او خلاصة القانون اصولاً وفروقات

كتاب من قلم حضرة الاديب مراد بك فرج الحامي قال مبيناً الغرض من تأليفه : « وبعد فقد اتجه فكري الى اصول المسائل القانونية ابحت فيها وفيما يكون لها من الاقسام ثم فيما يكون لتقسيمها من الفروق والمزايا بين بعضها وبعض الى ان توفر لدي ما توفر مما صلح ان يكون كتاباً يطبع ليفيد . وقد ساقني العمل الى البحث ايضاً في المتشابهات من الامور وبيان ما بين بعضها وبعض من اوجه الشبه كما اني وضعت كثيراً من التعريفات لكثير من الاشياء بقدر ما رأيت من اللزوم واوردت ما اوردت من احكام القضاء فرنسية ومخلطة واهلية تمزيماً للشيء بقدر الحاجة والامكان . فالقارئ يقف على كثير من صغير موجز مقرب للبعيد جامع للشتات مفرق بين المتشابهات مميز بين المتنوعات »

العلاج الجراحي

الجزء الرابع

اشرنا فيما مضى الى الاجزاء الاولى التي صدرت من هذا الكتاب النفيس وهو من تأليف الدكتورين وليم روز والبرت كارلس وقد عرّبه الدكتور محمد عبد الحميد بك طبيب مستشفى قلوب . ويتناول هذا الجزء الامراض الجراحية في الجلد وآفات العضلات والاورتار والاكباس الزلالية والنشوهات والعيوب وآفات العظام

والمترجم من الذين تفضلوا على العربية بنقل كثير من الكتب الطبية الحديثة اليها

رواية الحاكم باصر الله

هي رواية عربية حدثت وقائعها في مصر في اوائل القرن الرابع للهجرة في عهد الفاطميين فيها حضرة الاديب ابراهيم افندي رمزي المترجم الفني في وزارة الزراعة وقد مثلت في الاوبرا السلطانية وطبعت حديثاً

باب المسائل

ففتحنا هذا الباب منذ أوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائر بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألة باسمه والقابيه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا وبعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائلة فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهلناه لسبب كافي

(٢) مسائل كالا حاجي

(١) تعلم موسى الكليم

الاسكندرية . احمد افندي بهاء الدين
الراكشي . وجدت في مجموعة الاسئلة الجديدة
في الحساب فكاهات تعسر علي حلها مثل
قوله المطلوب طرح ٤٥ من ٤٥ بحيث يكون
الباقى ٤٥ وقوله المطلوب ايجاد العدد ١٠٠
من ست تسعات . وقوله المطلوب طرح
وجمع الاعداد من ١ الى ٩ بحيث يكون
الناجى ١٠٠ على شرط الا نستعمل الرقم الا
مرة واحدة

مصر . امين افندي شحاته . قرأت
مرة في كتاب او مجلة ان المصريين القدماء
كانوا يعقدون امتحانات عديدة مختلفة للذين
يريدون الالتحاق بسلك الكهنوت وان سيدنا
موسى عليه السلام امتحن معهم في تلك
الامتحانات ولكنه لم ينجح في بعضها . ويقال
انه من ذلك الوقت قام بالعداء للمصريين .
فهل لحضراتكم ان تدلوني على هذا الكتاب
او تشرحوا لي هذه المسألة

ج . اسألوا واضع هذه الاسئلة عن
مراده بها . ولا ندري لماذا يضاع وقت التليذ
في احاجي مثل هذه ولعلك لو سألت التليذ
الذي يحلها عن كم اردب من الفول يجبان
يشترى ابوه لمائة سبعة ثيران في سبعة
اشهر اذا علق للشور منها اربعة اقداح من
الفول المدشوش يوم العمل وقدين يوم
البطالة وكان يبطل العمل يوماً من كل
سبعة ايام لعجز عن معرفة الجواب مع انه
ضروري لكل فلاح

ج . ان ما ذكر عن موسى الكليم في
التوراة اي في العهد القديم والعهد الجديد
لا اشارة فيه الى هذه القصة . وانما يقال في
سفر اعمال الرسل ان موسى تهذب بكل حكمة
المصريين . اما كتب اليهود الاخرى كشاريخ
فيلون وتاريخ يوسفوس ورده على ابيون
وكتاب الترجوم في تفسير سفر الخروج ففيها
كلها كلام كثير عن موسى ولكنها كلها كتبت
بعد عهده بمئات من السنين ونحن قلنا نشق
بصححة خبر يكتب بعد حدوث حادثته بشهرين



اشكال الغيم

مقتطف يوليو ١٩١٧
امام الصفحة ٩٣

(٢) اشكال الغيوم

الجرايع . الياس افندي جرجس .
لماذا نرى الغيوم على اشكال مختلفة وذات
صور هندسية جميلة

ج . الغيوم مؤلفة من ذرات صغيرة
من بخار الماء طافية في الهواء وتختلف
اشكالها باختلاف مقدارها ولطافتها وكثافتها
واختلاف مجاري الرياح التي تصل اليها .
والمقدار يتغير كثيراً حسب البلاد وما فيها
من مجاميع المياه واختلاف التبخر باختلاف
الحر . والطاقة والكثافة تختلفان باختلاف

الحر والبرد ايضاً والارتفاع الذي تبلغ الغيوم
اليه . ومجاري الرياح تختلف حسب طبيعة
البلدان وساعات النهار واختلاف الحر
والبرد . ولما كانت هذه العوامل كثيرة جداً
متباينة فنتائجها مختلفة ولذلك تختلف الغيوم
بحسبها ولا تتجد غيمتين متماثلتين تماماً في كل
شيء ومع ذلك يسهل قسمة كل اشكال -

الغيم الى ستة اشكال ثلاثة منها اصلية
وثلاثة فرعية او مركبة من الاشكال الاصلية
كما ترون في الصورة المقابلة . فالشكل الاول
يسمى عند العلماء باسم سرشس ولعله المسمى
في العربية باسم تخزور وهو خيوط طويلة
دقيقة يكون ارفع سائر الغيوم وتراه في
الصورة وفيه صورة طائر واحد وهو مؤلف
من ابر جليد عائمة في الهواء على ما يظن كما
فراآتم في سياحة ذرة الماء في الجزء الماضي من

المقتطف . والثاني الكومولوس (الزكام)
وهذا يتكون في النهار ويزول في الليل ولذلك
يسمونه غيم النهار وكثيراً ما يظهر معترضاً في
نواحي الجو كأنه جبال شامخة وهو اوطأ من
السرشس واكتشف منه وفيه اربعة طيور
في الصورة . والثالث الستراتس (الصفيحة)
ويسمى غيم الليل لانه يظهر مساءً وينقشع
صباحاً في الغالب وهو اوطأ الغيوم وينزل
احياناً الى سطح الارض ويكون منبسطاً في
الجو صفائح ومن ذلك اسمه وفيه ستة اطياف
في الصورة

والفرعية او المركبة ثلاثة ايضاً اولها
السرشس كومولوس (لعله الانمر) وهو قطع
غيوم مستديرة بعضها متداني من بعض
ويشبه جزات الصوف في المنظر وفيه في
الصورة طائران . وثانيها السرستراتس وهو
الغيوم الريشية والظاهر انه يتركب من
ترتيب الياض السرشس في طبقات متوازية
وفيه ثلاثة اطياف في الصورة . وثالثها
الكومولستراتس وهو الغيوم الراحدة ويظهر
جلياً عند حدوث الرعد وفيه خمسة اطياف في
الصورة وقد يطلق عليه اسم النبوس

(٤) اختلاف ضوء القمر

ومنه . لماذا نرى ضوء القمر يختلف
في الفصول الاربعة

ج . اذا كانت المراد لماذا نرى القمر
هلالاً مرة ثم يتسع السطح المنير منه الى ان

الى الغرب فلا ترون منها الا الوجه غير
المقشور ولكن اذا فرض ان الشمس انخفضت
قليلاً عن الافق ظهر لكم طرف نصفها الابيض
فراً يتوه كالهلال . ويسهل تصور بقية اوجه
القمر في الشهر القمري لانها بين الهلال
والبدر وبين البدر والهلال التالي . ويبقى
البدر بدرأ الليل كله لان الارض تدور
بنا الليل كله والقمر مواجه لنا ولا يختلف
موقعه من ليلة الى اخرى الا قليلاً بدورانه
حول الارض . وما يقال عن البدر يقال
عن الهلال وغيره من اوجه القمر

(٥) ماء النيل وماء الطليبات

ومنه . اي الماءين افيد للصحة ماء
النيل او ماء الطليبات وما السبب في ان
الطعام الذي يطبخ بماء الطليبات لا ينضج حالاً
ولاسيما اذا كان من البقول

ج . ماء النيل جيد جداً اذا ترشح
وخلان الشوائب ولاسيما اذا اخذ من مكان
بعيد عن منازل السكان . وماء الطليبات
جيد ايضاً اذا لم يكن عميقاً كثير الاملاح .
اما الماء الذي لا ينضج فيه الطعام المطبوخ
فيكون فيه بعض المواد الكيماوية ومعالجته
لازاله هذه الخاصة منه صعبة والاسهل ابداله
بماء مرشح من النيل او من ترعة كبيرة جارية

(٦) احمرار الشمس قرب الافق

ومنه . لماذا تحمر الشمس عند غروبها
وشروقها وهل للجبال والرمال تأثير في ذلك

يتكامل بعد نحو اربعة عشر يوماً وبصير
بدرأ فالجواب ان القمر يدور حول الارض
دورة كاملة كل شهر قمري ونوره مستمد من
نور الشمس ووجه واحد من وجهيه يتجه الى
الارض دائماً اي اننا نرى نصفه المواجه لنا
ولا نرى النصف الآخر مطلقاً فاذا ظهر في
الافق الشرقي قبيل غياب الشمس نراه بدرأ
اي نرى الوجه الواقع عليه نور الشمس كله .
ولكن اذا كان القمر في سمت الراس عند
مغيب الشمس فوجهه الواقع عليه نور الشمس
يكون متجهاً الى الغرب فيظهر لنا نصفه الاسفل
فقط اي نرى ربع القمر منيراً . واذا كان
القمر فوق الافق الغربي حين مغيب الشمس
فلا نرى وجهه المنير او نرى منه حرقاً صغيراً
وهو الهلال . ويسهل عليكم اثبات ذلك
بهذا الامتحان خذوا برنقالة وانزعوا نصف
قشرتها فيصير نصفها ابيض وهو الذي نزع
قشره ويبقى النصف الآخر اخضر او برنقالي
حسب نضج البرنقالة والتفتوا الى الجهة الشرقية
وامسكوا البرنقالة امام عينكم على طول يدكم
ووجهوا نصفها المقشور الى الغرب وافرضوا
ان الشمس هناك وقد وقعت اشعتها على
البرنقالة فانكم ترون كل الوجه الابيض فتكون
بمثابة القمر وهو بدر ثم مدوا يدكم بالبرنقالة
الى فوق رأسكم موجهين وجهها الابيض الى
الغرب وانظروا فترى نصف هذا الوجه . ثم
مدوا بها يدكم الى الغرب ووجهها المقشور

عجب اذا وجد فيها اكثر الحشائش الطبية
واما البلاد التي هي سهل فسيح يروى بماء نهر
كالقطر المصري فقلما يعيش فيه غير ما يزرع
زرعاً وقلما يهتم الناس بزرع النباتات الطبية
لان مقطوعيتها قليلة بل يهتمون بزرع ما
كانت مقطوعيتها كثيرة كالقمح والذرة
والقطن . ومع ذلك لا ينخلو القطر المصري
من بعض النباتات الطبية الرائجة كالحنظل
والسقمونيا

(٨) الخنثان الملائيكي

ومنه . ما قولكم في الخنثان الملائيكي
فان لي صديقاً اخبرني بان له ابناً ختن صباح
احد الايام فكيف تعلمون ذلك
ج . قد يولد بعض الاطفال والجلدة
قصيرة جداً كأنهم مخنونون فيزعم اهلهم ان
الملائكة خنتهم

(٩) معنى داماد

ملوي . زكي افندي ناشد سر كيس .
ما معنى كلمة داماد التي تذكر احياناً قبل اسماء
بعض الباشوات الاتراك

ج . معناها الصهر اي الذي يتزوج ابنة
السلطان او اخنؤه

(١٠) حرب الوردتين

ومنه . لماذا سميت الحرب التي قامت
بين احفاد الملك ادوارد الثالث ملك انكلترا
بحرب الوردتين

ج . لان اشياع دوق لنكستر كان

ج . حينما تكون الشمس عند الافق
الشرقي او الغربي تصل اشعة نورها اليها بعد
ان تمر في طبقة من الهواء اسمك من الطبقة
التي تمر فيها حينما تكون في سمت الراس . والبخار
الذي في الهواء والغبار الذي فيه يمتصان كثيراً
من اشعة الشمس ويبقى منها الاشعة الحمراء
فتظهر بها الشمس حمراء ولكن اذا كان الهواء
قليل البخار والغبار كما في الصباح فلا يمتص
كثيراً من اشعة الشمس فلا تظهر حينئذ حمراء
او شديدة الاحمرار . والجبال والرمال تؤثر
في ان الجبال توارى الشمس عند اول
اشراقها فلا تظهر الا بعد ما ترتفع عن الافق
فتظهر حينئذ مشرقة لانها تكون قد ارتفعت
عن الافق والرمال تكون منبسطة فتظهر
الشمس فوقها عند شروقها وغروبها قريبة من
الافق فيحمر لونها بامتصاص اشعتها كما تقدم
فتأثيرهما في ان الجبال تحجب الشمس وهي
عند الافق والرمال لا تحجبها

(٧) العقافير الطبية

ومنه . هل صحيح ان المواد الطبية
تستخرج من النباتات والحشائش وان كان
الامر كذلك فلماذا خصت بها البلاد الاجنبية
ج . كان اكثرها يستخرج من النباتات
والحشائش اما الآن فصار الكثير منها
يستخرج من غيرها . والبلدان التي تكثر فيها
الجبال والسهول والادوية ويقع فيها المطر
وتغير الفصول تكثر نباتاتها وتتنوع فلا

شعارهم وردة حمراء واشباع دوق يورك
كان شعارهم وردة بيضاء وكانت الحرب بينهم
(١١) النورث عند الانكليز

بني سويف . الخواجه نصري حبيب .
نرجو افادتنا عن حقيقة النورث عند
الانكليز فيما يختص بالولد الاكبر هل هو
الورث الوحيد لما يخلقه والده من المال
والعقار دون اخوته كما يقول البعض ام له
حق الاختصاص بالالقب فقط وعليه ان
يقسم المال مع اخوته واخواته

ج . اكبر الابناء هو الورث الوحيد
لعقار المورث اذا لم يوص بغير ذلك وهو
يجب اخوته واخواته واذا توفي قبل وفاة
مورثه فابنه الاكبر يجب عمومه وعماته
واما المنقولات فتقسم بين الورثة على اسلوب
خاص . والغالب ان الانكليز يوصون قبل
موتهم ويعدلون وصيتهم من وقت الى آخر
فيرث الورثة او الموصى لهم بموجبها

(١٢) الخبر والتبغ

مصر . عبد الحليم افندي الياس نصير .
كيف يقال ان شرب الخمر والتدخين
مضران ونحن نرى الاوربيين الذين فاقونا
تمدناً يمدونهما فهل تختلف فوائد الشيء
حسب الجو كما يزعم

ج . لا شبهة في ان شرب المسكرات
وتدخين التبغ مضران ولو اختلف مقدار
الضرر باختلاف الاشخاص فقد يكون قليلاً في

البعض لا يشعر به وقد يكون كثيراً في البعض
الآخر . وتقوئ الاوربيين علينا في التمدن
لا يفي ضرر السكر والتدخين لان التمدن
اسباباً ومقومات كثيرة فاذا انتقص واحد
منها لا تنتقص كلها . والميل الى المسكرات
اشد في البلاد الحارة منه في الباردة

(١٣) آثار الوحم

ومنه . يقال ان الحامل اذا توحم
اي اذا اشتته شيئاً ولم تنله ظهرت بغي
طفها علامة يقرب شكها من شكل الشيء
الذي اشتتهه ولم تنله فهل ذلك صحيح وما
سببه

ج . قلما يخلو جسم انسان من آثار
مثل هذه من انواع الشامات والخيالات
وما اشبهه . وبعد الولادة يعلمها الامهات
وصواحيهن التعليل الذي ذكرتموه . ولا
يصعب على المرء ان يرى شامة كبيرة فيقول
انها تشبه حبة عنب اسود او حبة بن وان
يرى مشجة حمراء طولها عشرة سنتيمترات
مثلاً وعرضها ثلاثة فيقول انها تشبه ممكة
او حزة بطيخ فتقول له الوالدة انها اشتته
ذلك الشيء وهي تتوحم ولم تنله لاسيما وان
هذا الاعتقاد شائع عندنا

(١٤) طعام ينصفه الجسم كله

ومنه . هل فكروا في اختراع طعام
يسهل ككله في الجسم ولا يفرز منه شيء
وهل ذلك ممكن

السبب نطعم الدواب تبناً كثيراً مع الشعير أو الفول مع قلة الغذاء في التبن لكي يكون حجم المأكول كبيراً . وقد فكر البعض في تركيب غذاء لا يفرز منه شيء وذكر فلانربون طعاماً مثل هذا في إحدى رواياته العلمية ولكن تحول دون النجاح في ذلك مصاعب حمة كجماوية وفسيولوجية لا نرى التغلب عليها يمكننا حسب ما وصل اليه العلم حتى الآن

ج . بلغنا قبلما رأينا سوءكم ان احد معارفنا بقي مرة نحو شهر من الزمان لا يتغوط كأن جسمه كان يمتص كل الطعام الذي يأكله والظاهر ان طعامه كان قليلاً ان كانت روايته صادقة لا فضول فيه تفرزه الطبيعة . لكن عملية الهضم تستلزم ان يكون حجم الطعام كبيراً اكبر مما فيه من الغذاء حتى يسهل على المعدة ان تهضمه وتتناول الغذاء منه ولهذا

بالاحكام العلمية

الريخ والمشتري — يكونان كوكبي

صباح

زحل — يكون كوكب مساءً في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

احصاء سكان مصر

ظهر من تعداد سكان القطر المصري الذي تم في ٦ مارس الماضي ان سكان القاهرة بلغوا ٧٨٥٠٠٠ وكانوا ٦٤٦٠٠٠ في احصاء سنة ١٩٠٧ فالزيادة ١٢,٥ في المئة وسكان الاسكندرية ٤٣٥٠٠٠ يقابلها ٣٥٢٠٠٠ سنة ١٩٠٧ فالزيادة ٢٣,٦ في المئة

اوجه القمر في شهر يوليو

يوم	ساعة	دقيقة	البدر
٤	١١	٤٠ مساءً	البدر
١١	٢	١٢ -	الربع الاخير
١٩	٥	٠٠ صباحاً	اللال
٢٧	٨	٤٠ -	الربع الاول
٦	٥	٣٦ مساءً	القمر في الحضيض
٢٢	٧	٣٦ -	الوج

السيارات

عطارد — يكون كوكب صباح في اول الشهر ثم يصير كوكب مساءً في آخره
الزهرة — تكون كوكب مساءً

وهاك نتيجة الاحصاء في المحافظات
والمديريات بالالوف

١٩١٧	١٩٠٧	
٩٠	٦١	القنال
٣٤	١٨	السويس
٣١	٥١	دمياط
٨٨٤	٧٧٥	البحيرة
٩٤٧	٨٨٠	الشرقية
٩٧٧	٨٦١	الدقهلية
١٦٤٩	١٤٨٥	الغربية
٥٢٧	٤٣٥	القليوبية
٩٦٩	٨٧٧	اسيوط
٢٥١	٢٣٣	اسوان
٤٤٩	٣٧٢	بني سويف
٥٠٧	٤٤٢	الفيوم
٨٥٤	٧٩٣	جرجا
٥٢٣	٤٦٨	الجيزة
٨٢٩	٧٧١	قنا
٧٥٧	٦٥٣	المنيا
١٢٥٦٦	١١١٤٣	المجموع

اي ان سكان القطر كانوا ١١ ١٤٣ ٠٠٠ سنة ١٩٠٧ فزادوا في عشر سنوات الى ١٢ ٥٦٦ ٠٠٠ فالزيادة نحو ١٢ في المئة ما عدا محافظة دمياط فان سكانها نقصوا وهذه الارقام لا تشمل البدو ولا سكان مديرية الحدود الغربية ولا الاهالي في مناطق الحرب . وسينشر تعداد هؤلاء فيما

بعد فيزيد بها المجموع العام زيادة تذكر ويؤخذ من هذا الاحصاء ان الزيادة النسبية في عدد سكان المدن الكبرى كالقاهرة والاسكندرية وبورت سعيد اعظم منها في المديريات مما يدل على تحوّل الناس من سكن القرى الى سكن المدن وان عدد السكان زاد في الجهات التي وسع فيها نطاق الري في العشر السنوات الماضية

جمعية بلتدون وغيرها

اشتهر عند علماء الجيولوجيا والانثروبولوجيا اسم هذه الجمعية وهي جمعية اكتشاف تشارلس دوجن العالم الانكليزي المشهور في مكان من انكلترا اسمه بلتدون فعرفت بالانتساب اليه . وقد اشرنا اليها في بعض اعداد المقتطف غير مرة . واغرب شيء فيها ان تحفها مستدير كأنه تحف راس انسان من اهل هذا العصر ولكن الفك الاسفل كبير الاسنان وخالي من بروز الذقن كأنه فك قرد من نوع الشمبانزي . وقد قال بعض العلماء ان هذا الفك ليس لتلك الجمعية ولو وجد على مقربة منها وأنه فك قرد من نوع الشمبانزي . وبالامس ارسل الدكتور ودورد رسالة الى الجمعية الجيولوجية في لندن ذكر فيها ان تشارلس دوجن مكتشف جمعية بلتدون وجد في شتاء سنة ١٩١٥

قبل وفاته عظمين من عظام جمجمة وخرساً في حقل محروث ببعد ميلاً عن المكاف الذي وجدت فيه جمجمة بلتدون . ومن رأيه ان احد العظمين والخرس هما من جمجمة النوع الذي تنتمي اليه جمجمة بلتدون والذي سمي *Eoanthropus dawsoni* نسبة الى مكتشفه ولكنه لا يعلم هل هما لجمجمة واحدة ام لا

وعلى ذكر الجاجم نقول ان فلاحاً بويرياً اكتشف سنة ١٩١٣ جمجمة في الترنسفال بعدها العلماء اشهر الجاجم البشرية بعد جمجمة بلتدون وجدها في ارض له فنقلت الى متحف الآثار هناك . ويقول عالم اميركي تولى فحصها انها تمثل نوعاً من الانسان لم يعرف قبل الآن واقترح تسمية هذا النوع *Homo capensis* وعنده ان هذا النوع وسط بين الانسان الذي تمثله جمجمة بلتدون وهو الملقب « بانسان الفجر » لانه سابق لسائر الانواع وبين الانسان الاول الذي تسلسل منه زنوج افريقية

وهذه الجمجمة التي اكتشفت في الترنسفال عظيمة الطول ثخينة العظم هائلة الانساع بالنسبة الى الجاجم الاخرى

مواسم الاثمار

المعروف في الشام مثلاً ان شجر الزيتون يحمل سنة ولا يحمل في التالية او اذا

كان حمل هذه السنة كثيراً يكون في السنة التالية قليلاً على درجات مختلفة حتى لتري من الشجر ما لا يحمل زيتونة واحدة . والسبب معلوم وان جهله الاكثرون وهو انهم في اوان القطاف ينهالون على الاشجار ضرباً بالمصي الطويلة فتسقط ثمارها وتسقط معها رؤوس الاغصان فتقضي الاشجار سنة في تربية رؤوس اخرى وفي السنة التالية تحمل حملها المعتاد

والظاهر ان البستانيين في انكلترا يزعمون ان اشجارهم تحمل في سنة حملاً كثيراً وفي الاخرى حملاً قليلاً وان هذا في طبع الشجر لا عارض طارىء عليها . ولكن ظهر من تجارب بعض العلماء الذين انتدبوا لتحقيق هذا الزعم وبيان مكانه من الصحة ان ليس في طبع الشجر شيء من ذلك وان حملها يختلف باختلاف الهواء من حر وبرد على ما يرجح . فاذا اشتد الزمهرير ونزل الصقيع في الربيع اخضر ذلك بالبراعم تخفت حمل الاشجار والاقبلت المواسم

مكتبة عالم

توفي العالم منستربرج استاذ العلوم العقلية في جامعة هارفرد باميركا وترك مكتبة فيها ١١٠ آلاف مجلد فاشتراها بعض اصدقائه والمجيبين بعلمه وفضله واهدوها الى تلك الجامعة

رحلة قطبية

كان امندسن الرحالة النرويجي الذي اشتهر بارتياح الاصقاع القطبية غير مرة ثم بالوصول الى القطب الجنوبي اخيراً قد عقد العزم قبل اكتشاف هذا القطب على اكتشاف القطب الشمالي ثم عدل عن ذلك سنة ١٩١٠ لاسباب شتى وسافر الى القطب الجنوبي فاكتشفه وسبقه بيرى الاميركي الى القطب الشمالي . والظاهر انه اراد ان يسلي نفسه عن هذا السبق باعداد حملة الى القطب الشمالي ليكون ثانياً ولولم يستطع ان يكون اول . فقد جاءت الانباء بانه يستعد للسفر الى القطب الشمالي بطريق بوغاز بيرين وبحر بوفور حاذياً بذلك حذو الرحالة نسن قبله وغرضه من ذلك التنقيب العلمي في اقليم القطب وطبيعة ارضه وسمائه ومائه وحيوانه ونباته . ويستصحب معه بضع طيارات للانتفاع بعملها تسهيلاً عليه . وقد منحه مجلس نواب نرويج ١١ الف جنيه للاتفاق على حملته وكانت الجمعية الجغرافية الاميركية قد وعدته باربعة آلاف جنيه تعطيها اياها متى عقد العزم على رحلته

نور عجيب

ذكر الفلكيون الانكليز والفرنسيون ان ليل ٢٣ - ٢٤ ديسمبر الماضي بدلاً من

ان يكون احلك الليالي لقربه من نقطة الانقلاب الشتوي ولان القمر في المحاق - كان ليلاً منيراً كأن القمر فيه ابن سبع ليال او ثمان حتى استطاع بعضهم ان يقرأ بنوره كلاماً من بنط ١٨ وكانت الجبال والتلال ترى فيه معترضة الافق كأنما ترى بنور الفجر . وفي انكثرتا تعذرت عليهم رؤية الكواكب الضعيفة النور والمجرة كما يحدث في الليالي القمرية . وقد اختلفوا في تعليل هذا النور وهل هو حادث عن الشفق القطبي ام لا

جامعة كمبردج

انشأت جامعة كمبردج شهادتين جديدتين تمنحهما للباحثين في الآداب والعلوم وقالت ان الغرض منها ترغيب الطلبة في الاقامة بالجامعة سنة او سنتين بعد اخذهم شهادتها العادية للبحث والتنقيب في الموضوعات العلمية والادبية المختلفة . وقد سمت نائل شهادة الآداب Master of Letters ونائل شهادة العلوم Master of Science . واعلنت انها تقبل في هذين الفرعين الجديدين خريجي الجامعات الاخرى

كذلك انشأت فرعاً جديداً ممتدة معهد الآلات الزراعية Institute of

Agricultural Mechanism والغرض

منه درس الآلات الزراعية قصد اصلاحها وتحسينها

راعوث هولدن النباتية

هي فتاة اميركية من المشتغلات بعلم النبات البارعات فيه ولدت سنة ١٨٩٠ واتمت دروسها في جامعة هارفرد سنة ١٩١٢ وعكفت على البحث في نباتات العصور الجيولوجية من الفصيلة الصنوبرية ولكن لما نشبت الحرب تركت علم النبات وانقطعت لتقريب مرضى الجرحى ومضت الى روسيا في شهر ديسمبر الماضي لهذه الغاية ورافقت الجيوش الروسية فاصيبت بالحمى التيفويدية ولم تكد تشفى منها حتى اصببت بالالتهاب السحائي وتوفيت به في مدينة موسكو في ٢١ ابريل الماضي . وكانت قد نشرت مقالات كثيرة في وصف النباتات القديمة في اميركا وانكلترا . وامتازت بذكانتها ودقة نظرها واستحقاقها بالمخاطر وتغلبها على المصاعب

النقل في الهواء

تألفت لجنة في بلاد الانكليز لاجل البحث في امر النقل والانتقال في الهواء بواسطة الطيارات والبلونات رئيسها لورد نورثكلف صاحب التيمس والدبلي مابل ومن اعضائها دوق اثول ولورد مونتاغبي ولورد سدنهام والجنرال روك وارل دروغيدا والسر توماس مكنتزي والجنرال برنكر وغيرهم

تهوية التربة

ظهر من مباحث عالمين انكليز بين أن مسألة تهوية التربة اعظم شأنًا في عالم الزراعة مما كان يظن قبالاً وان النباتات المختلفة على اختلاف في حاجتها الى الاكسجين لتهوية جذورها فنبات الدفلى يحتاج الى اكسجين قليل والصفصاف الذي ينمو في المستنقعات تعيش جذوره وتنمو بلا اكسجين مدة شهرين ونصف من غير ان تتأثر بذلك . ومن النبات مالا يعيش بلا اكسجين ولو قليلاً

ينابيع الماء العذب في البحر المالح

على سواحل فرنسا ينبوع ماء عذب ينبع من عمق ٥٠ قدماً تحت البحر الى سطحه فيستقي منه الصيادون . ومن اشهر هذه الينابيع ينبوع التابع لجزيرة المحرق من جزر البحرين في خليج فارس فان اهل الجزيرة ومعظمهم من غواصي اللؤلؤ يستقون منه ولكن ماءه لا يصل الى سطح البحر فيضطرون ان يغوصوا بقربيهم فيملاًونها ماءً عذباً ويصعدون بها الى سطح الماء

العلاج بنور الشمس

ابان الميسو كازين في اكااديمية العلوم بباريز ان كثيرين من الجرحى عولجت جراهم باشعة الشمس فشفيت

الحساب العشري

تهتم جميعات كثيرة في بلاد الانكليزية
بادخال الحساب العشري اليها في كل شيء
في النقود والموازن والمقاييس والمكاييل حتى
تصبح مثل فرنسا من هذا القبيل . والمظنون
انها ستعتمد على الحساب العشري في ذلك
كله بعد الحرب

الماء عند خط الاستواء

وجد الاستاذ كاري والدكتور ميران
سطح ماء البحر عند خط الاستواء ابرد من
الماء البعيد عنه خمس درجات شمالاً وعشر
درجات جنوباً وهو اقل قلوية ايضاً وان ماء
المطر في جزائر ساموى حامض وماء البنايع
والانهر فيها وفي جزائر هواي قلووي وفيه
هيدروجين

غواة التلغراف اللاسلكي

كان في اميركا قبل دخولها الحرب عدد
كبير من الاميركيين غواة التلغراف اللاسلكي
اي الذين يقتنون عدد التلغراف اللاسلكي
للتسليمية ونقطيع الوقت كما يقال . فلما دخلت
اميركا الحرب اصدرت الحكومة الاميركية
امرها بازالة جميع تلك العدد فلم تمض ايام
قليلة حتى لم يبق في البلاد عدة واحدة عاملة
الا ما كان منها لخدمة الحكومة او ما حفظه
بعض الخونة سرّاً

زيج بطليموس

ذكر بطليموس في كتابه المجسطى ١٠٢٥
نجماً من الثوابت وبين اقدارها ومواقعها .
وقد ظن بعض علماء الفلك انه تناول ما
ذكره هيرخس الفلكي قبله عن هذه النجوم
وزاد المقدار اللازم في اطوالها حتى تصل الي
عصره . ولكن الدكتور ديرير قال حديثاً في
الجمعية الفلكية الملكية ببلاد الانكليز ان
النجوم التي ذكرها هيرخس كانت ٨٥٠ نجماً
فقط فلا داعي للقول بان بطليموس اعتمد عليه
ولم يرصد هو النجوم بنفسه . ويعين اقدارها
ومواقعها

دقيق الشعير في الخبز

اجرى المسيو بلاند بعض التجارب في
عمل الخبز من دقيق الخنطة الذي اضيف
اليه دقيق الشعير او الذرة او الرز فوجد ان
الخبز يبقى صالحاً ولو اضيف اليه عشرة في
المئة من هذا الدقيق او ذاك وافضلها دقيق
الشعير

نقولا تسلا

يذكر القراء اسم نقولا تسلا العالم
الكهر بائي المشهور وهو اصلاً من اهالي الجبل
الاسود . وقد اهدي اليه الآن نشان اديسن
اعترافاً بمكشافاته المهمة في الكهر بائية

نترات شيلي

يستدل من بعض الاحصاءات ان المانيا استوردت من مناجم النترات في شيلي ٦٥٠ الف طن سنة ١٩٠٨ وتلتها الولايات المتحدة الاميركية فاستوردت ٣٥٠ الف طن في تلك السنة ثم فرنسا فبلغ ما استوردته ٣٢٠ الف طن واستوردت البلجيكي ٢٣٠ الفاً وهولندا ١٦٠ الفاً وانكلترا ١١٠ آلاف ثم ايطاليا فالنمسا من ممالك اوربا واستوردت بلدان افريقية ومصر في الجملة ٥٠ الف طن اي نحو ما استوردته النمسا واكثر ما يستعمل له النترات تسميد المزروعات

الاهتمام بمسألة الطعام

اجتمع مؤتمر زراعي في سنت لويس باميركا وقرّر ان يصرف وزير الزراعة خمسة ملايين من الجنيهات هذه السنة لاجل الترغيب في الاكثار من زرع مواد الطعام كالقمح ونحوه لكي تسد مسد النقص في محاصيل الحبوب

سكك الحديد الاميركية

كان في اميركا منذ عشر سنين ١٨٤٠٠٠٠ مركبة للبضاعة في سكك الحديد فزادت حتى بلغت ٢٠١٨٨٥٥ في آخر السنة الماضية

اي ان عددها زاد ٣٧ في المئة اما سمعتها فزادت ٦٠ في المئة

اعمق المناجم

اعمق المناجم منجم ذهب في البرازيل فتح في القرن الثامن عشر فان عمقه ١٨٠٠ متر وهو يزيد نحو مئتي متر على عمق منجم هوتن في اميركا الشمالية وكان يظن انه اعمق المناجم

وفيات الاطفال في انكلترا

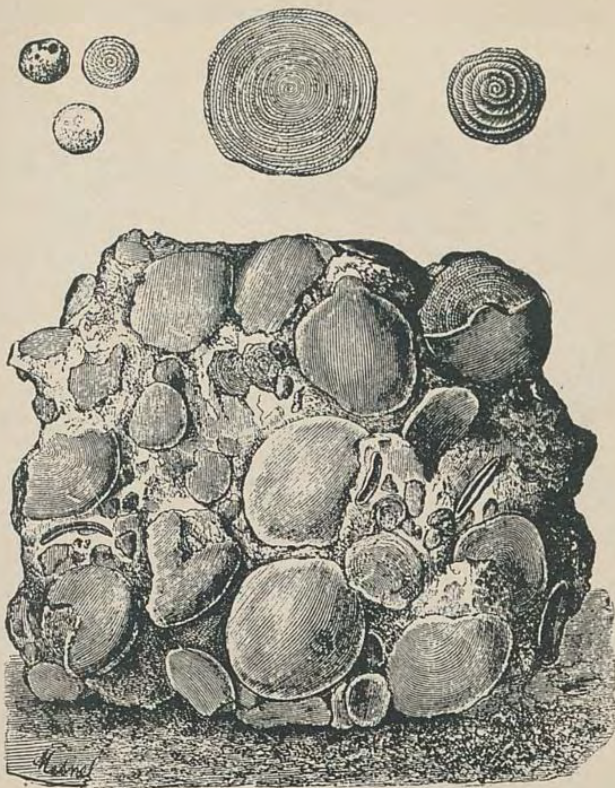
اصدرت مصلحة الصحة الانكليزية احصاء رسمياً لوفيات الاطفال من حين ولادتهم حتى يبلغوا الخامسة من سنهم بين اول سنة ١٩١١ وآخر سنة ١٩١٤ ويؤخذ منه ان عدد الاطفال الذين ماتوا في خلال هذه المدة بلغ في انكلترا (ما عدا ايرلندا) ٥٧٨ ٠٧٥ طفلاً اي ٢٨ في المئة من مجموع الوفيات في السنوات الاربع وان معظم الوفيات في المدن الصناعية الكبرى

الوفيات في اميركا

يؤخذ من بعض الاحصاءات الاميركية ان وفات المدن ترجح وفيات القرى رجحاناً كبيراً وان متوسط اعمار الاناث في جميع ادوار العمر اكثر من متوسط اعمار الذكور الا بين الخامسة والعشرين والحادية والثلاثين

فهرس الجزء الاول من المجلد الحادي والخمسين

صفحة	
١	سياحة ذرة ماء (مصورة)
٧	اين الجبوب
٩	استعمار السوريين بين العهدين . للدكتور فيليب حتي
١٩	الحياة بعد الموت
٢٦	طرائف من ادب العرب . لنقيب
٣٣	في بادية الشام . لعز الدين افندي آل علم الدين
٣٩	القدرية والجبرية . لمحمد افندي حسين هيكل المحامي دكتور في الحقوق
٤٥	ذكرى قاسم امين . لأحمد بك لطفي السيد
٥١	مستقبل الشرق الادنى
٥٥	مصر منذ اربعائة سنة . لديميتري افندي نقولا
٦٢	باب الزراعة * دود القز (مصورة) . ربيع الزراعة في مصر . ثمن القمح . المحرث بخاريث البترول . تجارب في زراعة القمح . وقاية الطيور الآكلة للحشرات . الحشرات المضرّة بالرّز في الغيط
٧٤	باب تدبير المنزل * حى مالطة . الافراط في الاكل . وصايا للاكلين . مقدار الطعام اللازم للجسم . الشاي والقهوة . الخبز الاسمر والخبز الابيض . الزكّام وسببه وعلاجه . ضبط المقاييس
٨٠	باب المراسلة والمناظرة * ذكرى الطفولة . نفوس العظام
٨٤	باب التقريظ والانتقاد * نبذة تاريخية . كتاب المساكين . امثال الشرق والغرب . اوزان الشعر العربي . الدليل المصري لسنة ١٩١٧ . صحيفة مدرسة التجارة المتوسطة . تاريخ الاتراك العثمانيين . الفروق . العلاج الجراحي . رواية المحاكم بامر الله
٩٢	باب المسائل * (مصورة) وفيه ١٤ مسألة
٩٧	باب الاخبار الطبية * وفيه ٢٦ نبذة



صورة قطعة من الصخور الصدفية المدرة التي بنيت منها الاهرام



الببر او الاسد الهندي

مقتطف اغسطس ١٩١٧

امام الصفحة ١٠٥